

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ط1: 1435097057

رقم التسجيل: ط2: 20153507321

رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء" ل: واسيني الأعرج

مذكرة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبين (ة):

- سفيان زين.

- الهانية بشيري.

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	عثمان مقيرش	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	رئيسا
2	بلقاسم جياب	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	محمد سعدون	أستاذ محاضر "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا
4				ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/ 2020م



شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، ولإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر والعرفان، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات:

فكل الشكر

إلى أستاذنا المشرف (بلقاسم جياب) منبع المعرفة والسراج

الذي أثار دربنا فكل الشكر والاحترام له

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة



مقدمة



مقدمة:

عرف الخطاب الإبداعي الجزائري تحولات كبيرة على مستوى البنية والمضامين وبخاصة في مجال الرواية باعتبارها خطايا العصر، ولعل المتأمل في الانتاج الروائي الذي ظهر في فترة العشرينيات السوداء وبخاصة عند المنيع واسيني الأعرج وروايته ذاكرة الماء التي تعد من أهم وأبرز رواياته التي تسعى كغيرها إلى تحليل الواقع المتأزم الذي وشح فضاؤه فقرة الأزمة بوشاح السوداوية التي طالت كل جنبات الوطن الذي فإن القارئ للرواية سيلاحظ مسيطرة قيمة العنف على منتها، وسيما علق المكان وتحديدًا قضاء المدينة التي وقفت عليها الشخصية تبكيها وتربها وتشكو قسوة الزمن الذي أسهم في تغير دالتها وهويتها ، هذا الحزن يشبه إلى حد كبير البكاء على الأطلال في الشعر الجاهلي، ومن هذا المنظور يندرج هذا البحث الموسوم: رثاء المدينة في رواية ذاكرة الماء، والتي تأتي أهميته في سعيه على الوقوف على أبرز ملامح هذا الرثاء وفق رؤى وامتطورات مختلفة وكذا تقديم قراءة جديدة في اثره أدب الأزمة الذي كان يقف عند جماليات المكان وأبعاده المختلفة في الشعر وعليه يطمح هذا البحث إلى الغوص في عمق الدلالة الرمزية والإيديولوجية للمكان وتحديدًا المدينة وذلك بالإجابة عن تساؤلات خاصة برثاء المدينة، وتأتي في مقدمة بعض هذه التساؤلات:

ما أبرز مظهرات رثاء المدينة في رواية ذاكرة الماء؟ لتتفرع عن هذا مجموعة من الأسئلة الأخرى وأبرزها : ما هو مفهوم رثاء المدينة؟ وماهي علاقة المدينة بالرواية؟ كيف قدمت لنا المدينة علاقتها بالرثاء؟ كيف أثرت كل من الهوية والأيديولوجية المصطنعة في تغير

ملامح المدينة؟

أما عن أسباب اختيارنا لهذا البحث فهي:

أسباب ذاتية تتمثل في ميولنا إلى جنس الرواية لون غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى. وأسباب موضوعية متمثلة في محاولنا تقديم رؤية تقنية للرواية وذلك بالكشف عن علاقة الرواية بالمدينة، وكذا تقديم إمام بسيط في مجال البحث العلمي. وقد تقاطع هذا البحث مع مجموعة سابقة من الدراسات وهي:



- المدينة في الشعر العربي المعاصر للدكتور عمار أبو علي غالي.
 - صورة المثقف في رواية يشير مفتي وشي رسالة ماجستير ل: سعاد حمدون .
 - حادثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء وهي رسالة ماجستير ل: أمال سعودي.
 - الهوية والخيرية في كتاب الأمير لواسيني الأعرج وهي رسالة ماجستير لحميد صغير.
- انطلاقاً من هذه الدراسات سعي هذا البحث إلى تقديم مقارنة جديدة لهذا النص الروائي إذ يحاول تفسير علاقة الرثاء بالمدينة وكشف الكيفية التي وُضف بها داخلها وكذا استهداف بعض الجماليات النصية التي يمنحها الرثاء إلى المدينة وفق تقنيات مختلفة.
- أما المنهج المتبع في هذا البحث في المنهج الصوسيونصي باعتبار أن البحث يقضي الجمع بين عدة اتجاهات بغية الوصول إلى عمق النص المدروس.
- وبني هذا البحث وفق التقسيم الآتي:
- ابتداءً من المقدمة، **الفصل الأول** حمل عنوان **علاقة الرثاء بالمدينة**، حيث درس علاقة الرثاء بالمدينة فوق أولاً على ماهية الرثاء إذ عالج مفهوم الرثاء في اللغة والاصطلاح ثم مفهوم المدينة في اللغة والاصطلاح ليقدم بعدها تركيباً لرثاء المدينة في الشعر وانتقاله إلى الرواية.
- أما **الفصل الثاني**: حمل عنوان **تمظهرات رثاء المدينة في رواية ذاكرة الماء**، إذ تم التطرق فيه إلى مجموعة من العناصر فعالج الاغتراب المكاني للمثقف من خلال ما يقوم به من رثاء المدينة ثم عصر أدلجة المدينة بين الهوية والإيديولوجيا، بعدها أتى عنصر المدينة ثم ختمنا البحث بخاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات المتوصل إليها.
- وأخيراً قائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات، ثم ملخص باللغتين العربية والفرنسية.
- وقد تم الاستعانة في هذا البحث بجملة من المراجع أبرزها:
- رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج.
 - كتاب طوني بنيت؛ مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم المصطلحات الثقافية والمجتمع.
 - شوقي ضيف: الرثاء. وغيرها من المصادر الموثوقة في ثنايا البحث.



لا يخلو أي بحث علمي من مشاق أو صعاب؛ هذه الأخيرة بقدر ما تحدده من قلق وخوف إلا أنها تتفع الباحث إلى مزيد من الجد والحرص، ولعل أبرز صعوبة واجهت هذا البحث هو كثرة المادة العلمية، حيث وجدنا أنفسنا نقف في كثير من المرات عاجزين أمام عدة كتب فمن أين تأخذ وماذا نترك إلا أن هذه الصعاب كانت الدافع نحو انجازنا هذا البحث وتقديمه في شكل يحاول أن ينحو منحى الدقة.

كما أن هذه الصعاب زالت بفضل الله عز وجل و العناية الكبيرة والمتابعة الدائمة التي أحطنا بها الأستاذ المشرف: جياب بلقاسم، الذي لا يفوتنا في هذا المقام إلا أن نتقدم إليه بأحرى عبارات الشكر والتقدير والمرافقة الطيبة التي منحها إياها منذ أن كان البحث فكرة، إلا أن انتهى على هذا الشكل فألف شكر وتقدير له ولكل من أسهم في انجازه. وفي الأخير أن هذا البحث قام به بشر يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ، فإن أصبنا وهذه غايتنا - فهذا بتوفيق من الله عز وجل، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ويكفي أننا اجتهدنا.

الفصل الأول

علاقة الرثاء بالمدينة

أولاً: ماهية الرثاء والمدينة

- 1- مفهوم الرثاء (لغة واصطلاحاً)
- 2- مفهوم المدينة (لغة واصطلاحاً)
- 3- الرثاء وتطوره عبر العصور
- 4 المدينة في التراثين الغربي والعربي

ثانياً: فن رثاء المدن

- 1- لمحة عن نشأة فن رثاء المدن
- 2- رثاء المدن وتطوره عبر العصور



أولاً: ماهية الرثاء و المدينة.

1- مفهوم الرثاء

أ- لغة : ورد في بعض المعاجم اللغوية مفهوم الرثاء ، إذ جاء في معجم الصحاح : " رثيت الميت من باب رمى و مرثيته أيضاً و رثوته من باب عدا إذا بكيته و عدت محاسنه و كذا إذا فيه شعرا ورثى له رق من الباب الأول بمصدر به و ربما قالوا رثأت الميت بالهمزة على خلاف الأصل " .¹

فالرثاء هنا مقترن بما يقال حزنا عن الميت و مايرافقه من بكاء على فراقه كما ورد في لسان العرب ، الرثاء كالأتي " رثى فلان فلانا يرثيه رثيا و مرثية إذا أبكاه بعد موته ، قال فإذا مدحته بعد موته قيل رثاه يرثيه ترثية ، و رثيت الميت رثيا و رثاء و مرثاه و مرثية و رثيته مدحته بعد الموت و بكيته ، و رثوت الميت أيضا إذا بكيته و عدت محاسنه ، و كذلك إذا نظمت فيه شعرا ، و امرأة رثاءه و رثاية : كثيرة الرثاء لبلعها او لغيره ممن يكرم عندها ، تتوح نياحة ، و رثيت له ، رحمته ورثى له أي رق له " .²

يفهم من هذين التعريفين أن لفظ الرثاء يحيل إلى ذكر محاسن الشخص المتوفي لغة تكون ألفاظها مختارة و من ثمة إقترن هذا اللفظ بشر المراثي ، و قد ورد في المعجم الأدبي: " الرثاء : بمعنى تعداد مناقب الميت و هو باب من ابواب الشعر عامة و الشعر العربي خاصة يعبر عن عاطفة نابغة من القلب ، و يدخل في عداد الرثاء القصائد التي نظمها الشعراء في البكاء على العمارات و الدول البائدة و العمران الزائد ، و المجد الفابر ."³

ب- إصطلاحا :

اشع لفظ الرثاء و تطور علمه و ورد في المعاجم اللغوية بمعنى التأبين و التعزية " الرثاء يقال عن الوفاء و يوفى به الشاعر حقوق أسلافه و على السجية إذا كان الشاعر قد

¹ محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1977 م ، ص 233

² ابن منظور : لسان العرب ، مج 3 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1997 م ، ص 35

³ جبور عبدالنور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، سنة 1984م ، ص 120.121



فجع ببعض أهله ، و هو ذكر على أن الميت قد مات فيجمعون بين الحصرة و التأسف و التلهف و الإستعظام ثم صفات المدح مبللة بالدموع .¹ " فهو إذا كل ما يذكر من محاسن بعد وفاته من عواطف صادقة .

و هناك من يطلق عليه اسم التأيين " و هو فن التعبير عن حزن الدمامة و عن فقدان و هو الثناء على الشخص حيا أو ميتا ، ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط ، فإذا كان من عادة العرب في الجاهلية ان يقفوا على قبر الميت فيذكر مناقبه و يعد خصائله و يشهر محامده .²

فهذا القول يحيل أيضا إلى المعاني السابقة من ذكر لفضائل الميت ، يتوضح مما سبق أن المعنى الإصطلاحي للرثاء ممتد لمعناه اللغوي ، فهو عبارة عن صرخة ولوعة يطلقها شخص إتجاه مصيبة حلت به يعبر عما تحمله نفسه من آهات و ولوعات يجد لها معادلا موضوعيا ، فتكن الكلمات والاشعار التي يسير بها تمثيلا لذلك الهيجان النفسي .

غير أننا نقف على بعض المفاهيم المرادفة للرثاء ، هي كالاتي :

التأيين : فهو مدح الميت و الثناء عليه و ذكر كل فضائله ، و التأيين قد يكون رياء أي أن الشخص الذي يذكره لا يعني بالضرورة أنه يحمل مشاعر ود للميت كما بين رجال السياسة لبعضهم .

الندب : و هو البكاء على الميت و تعداد محاسنه بالدموع الحارة و الألفاظ المحزنة ، فيسرف الشاعر في النحيب و ذرف الدموع ، ليثير عابرات النفوس فنحس بالنواح ، و البكاء و يشغل الندب مساحة واسعة في مرثي الأندلسيين لأن مصائبهم و ما نزلت بهم من فواجع كانت طافية لجعل مرثيهم تعصر بالاسى و الدموع ، و يكون الندب مرافقا بالدموع و الحزن الشديد ، فهو نابع من القلب مصورا كلما يختلج نفسية صاحبه .

¹ مصطفى صادق الرفاعي، تاريخ الأدب، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص 81.

² شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، ص 12.



العزاء :هو الصبر عن كل مفقود أو مصيبة لأن كأس الردى دائر على الجميع ولا مردا منه فيحاول الشاعر ضرب الأمثال بمن أبادهم الزمان لإحياء من بقي أن الموت أباد منهم من فاقدهم .

و بالتالي فهو تلك المواساة التي يقدمها شخصا معين لأهل الفقيد تخفيفا لحزنهم و تذكيرهم بأن الموت مثل ما أباد الأولين فسيبيد الجميع ، فهو بذلك نهاية حتمية مقدره على كل إنسان كما يمكن أن يؤدي الرثاء مجموعة من الوظائف نحيزها كالآتي :

- وظيفة نفسية حيث يكون متنفسا و معبرا عن المشاعر الحزينة و الصادقة بكل ماتحملة من آلام و أحزان .

- يكون تسجيلا للوفاء و المكانة العالية التي يحتلها هذا الشخص في نفوس الآخرين فبضله نعرف مكانة الميت عند الناس.

- قد يكون ديوان يسجل من خلاله فضائل و صفات الفقيد و مرجع مهم للأجيال اللاحقة حتى تعلم مكانة أسلافها يجسدونه في حياتهم¹.

لقد اقتزن الرثاء بالشعر في العصور السابقة إذ أقل ما نجد فنون نثرية تجسد ماسبق ذكره و غالبا ما ارتبط بتعداد الفضائل و الحسرة التي تركها شخص عزيز في قلوب الناس ، إلا ان ما يلاحظ في الاجناس الأدبية الحديثة هو حدوث انزياح لهذا المفهوم إذ اصبح يحيل على المقارنة بين واقعين ، واقع مضى بتغيراته الزاهية و الجميلة و واقعا معاشا يحكي أمور كثيرة مغايرة لماهو متعارف عليها ، فنجد الشخص نفسه يبكي حاضره في ضوء معطيات ماضيه.

2- مفهوم المدينة

أ- لغة : يحفل هذا المصطلح بعدة مدلولات لغوية ، فنجدها في لسان العرب أن " المدينة الحصينة تبنى في أنظمة الارض (وسط الارض ، و كل ارض يبنى بها حصن فهي مدينة و السنية مدنيا)².

¹ ينظر عبد اللطيف عيسى ، شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الاندلس ، ص18.

² ابن منظور :لسان العرب ، ج 13 ، ص 412



فهي المكان أو البقعة من الأرض التي يشيد وسطها بناء معين كما ورد في معجم الوسيط "مدن ، مدونا ، أتى المدينة ، تمدنى ، عايشى ، عشى أهل المدينة و تنعم و أقر بالأسباب الحاضرة المدنية ، حضارة و اتساع العمران ، المدينة مصدر ، الجمع مدائن و مدن " ¹ تدل المدينة في قاموس المحيط على مكان أهل بالسكان ، المناقض لمفهوم الريف و بالتالي تدل على ضرب من ضروب الحضارة و الرقي .

من خلال هذه التعاريف يلاحظ أن لفظ المدينة يحيل إلى ذلك المكان المعروف بالاستقرار لأهله و المشيد وفق أشكال هندسية معينة .

ب - إصطلاحا :

يجد الدارس نفسه أمام مجموعة من المفاهيم الاصطلاحية أثناء محاولته تعريف المدينة، و ذلك انطلاقا من الخلفية التي يتكئ عليها كل شخص حاول اعطاء مفهوم له ، فتعريف عالم الجغرافيا يختلف عن تعريف المبدع " فهي رمز كلمتان و مركز كبير للتجمع البشري يضم بين طياته طبقات متباينة من الناس يغلب عليها الطابع المادي بشكل عام " ² هي مكان كبير تحمل دفيته أعداد معينة من الناس يختلفون في الحالة المعيشية الفكرية تقوم بينهم مجموعة من العلاقات فيغلب عليها الطابع البراغماتي أو هي " مركز تجاري و صناعي يجلب إليه أبناء الريف البسطاء الذين يطمحون إلى تغيير واقعهم و ينفرون من حياتهم البدائية البسيطة أملا في الكسب المادي أو العلمي الذي لا يمكن أن يتوفر لهم إلا في أجواء المدينة التي هي المجال الوحيد لتحقيق طموحاتهم " ³

إذن تصبح من هذا المنظور مركزا كبيرا يجذب إليه الأشخاص القابعين في الهوامش بحكم ما توفره لهم من أشياء هي غير موجودة في قراهم و بالتالي تصبح المدينة مناقضة للريف أو القرية .

¹ الفيروز ابادي : القاموس المحيط ، ج4 ، دار العلم للجميع ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 270

² محمد مفدي قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987 ، ص 357.

³ مفدي قميحة : الاتجاه الانساني في الشعر المعاصر ، ص 357



و مع مرور الزمن لم تصبح المدينة مجرد تجمع كبير إنما أصبحت " نфия لعالم الريف و الاقطاع و التخلف فأنطلقت كتيار في حركة تطويرية توالدية تحمل في أحشائها حلما حضاريا و تتجلى المدينة الحديثة صورة مصغرة للعالم و تبياننا للحدثاثة " .¹

ورد في معجم معاجم اصطلاحية جديدة أن المدينة " تشير إلى حد أدنى إلى مستوطنة مبنية في موقع محدد إلى صور التنظيم الإجتماعي التي تجري ذك المكان و إلى الأهمية الرمزية لكل من المكان و العلمية " .²

فهذا التعريف يحمل بعدين بعد مادي دل على العمران و بعد دال على تلك العلاقات الإجتماعية التي تنشأ في ذلك المكان .

والمدينة باختصار في نسيج " إذ تفعل المدن و تنقل الثقافة في نسيجها الخاص و هي تشكل خلفية معمارية للتفاعلات العامة و الحياة الخاصة لكن المدينة توجد أيضا في الروايات التي تقرأها و الصور التي تتطلع إليها و الأفلام التي تشاهدها و بالنتيجة انبثق نمط حديث من التجربة المدنية ، المتخيلة الواقعية " .³

فهي وعاء ثقافي و حضاري بين طياته مظاهر عمرانية و أخرى ثقافية و لكن برز مفهوم آخر للمدينة المتخيلة المجسدة في بعض الخطابات الأدبية فوجد المقدمة الطللية في العصر الجاهلي التي هي من أهم العناصر الجوهرية في بناء القصيدة الجاهلية و قد وقفت على الأمكنة ، فالشاعر الجاهلي " ابتداء بذكر الديار و الدمن ، فبكى و شكى و خاطب الربع " .⁴

لأن هذه الديار تذكره بالماضي السعيد الذي ولى ، وبالأحبة الذين فارقوه ولم يبق منهم إلا هذه الأمكنة التي تتهاوى و تتلاشى شيئا فشيئا .

و هذا ماتجسده الأبيات الاولى من معلقة زهير بن أبي سلمى :

¹ ابراهيم رمانى الغموض في الشعر العربي الحديث ، ج 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص 67

² طوني بينيت : مفاتيح اصطلاحية جديدة ، معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع ، تر ، سعيد الغانمي : المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2010 ، ص 605 .

³ المرجع نفسه ، ص 609

⁴ باديس فوغالي : الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، ص 237



أمن أم أوفى ب منة لم تكلم بحو ما نه الدراج فالمتلثم
ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيع و شيم في نواشير معصم
وقفت بها بعد عشرين حجة فلا يا عرفت الدار بعد توصهم
فلما عرفت الدار قلت لربيها ألا انعم ايها التريع أسلم¹

3- الرثاء و تطوره عبر العصور:

كل أمة مراثيها ، العرب أمة تحتفظ بتراث ضخم من المراثي ، و هذه بعض المظاهر لتطور فن الرثاء عبر العصور " الجاهلي ، الاسلامي ، الاموي ، العباسي و الاندلسي "

3-1- الرثاء في العصر الجاهلي :

تميزت حياة العرب في الجاهلية بعدم الاستقرار و كثرة الترحال " حيث عاش العربي في الجزيرة العربية ، وهي بلاد رملية شحيحة لا تلبى حاجة قاطنيها ، ولا تمدهم بأسباب العيش الرغيدة "² ، فهم كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر بحثا عن الماء و الكأ ، و لم يعتمد العربي على ما تجود به الطبيعة فقط في حياته ، بل كان يعتمد على ما كان يجنيه من الغنائم الناتجة عن الحروب التي كانت بين القبائل و بالتالي هناك قتلى كثيرين ، فكان الشعراء يتسابقون لرثاء " من سقط من فرسان قومه في حومة الوغى ، فيرثيه رثاء هو أقرب إلى الفخر منه إلى رثاء متغنيا بشجاعته و بسالته و مناقبة الآخرين "³

فالشاعر الجاهلي كان يحزن حزنا شديدا على وفاة فرسان من قبيلته و هذا ما يدفعه إلى التعبير عن خلجات قلبه الحزين .

فالرثاء من اعراض الشعر الغنائي بل من أهم تلك الأغراض نظرا لصلته الوثيقة بالعاطفة و الإحساس ، إذ يتصل بقضية الإنسان و الزمن رثاء الشاعر لمن مات من

¹ القرشي أبو زيد أبي الخضاب : الجمهرة ، دار الهلال بيروت ، لبنان ، د . ط سنة 1999 ، ص 186

² جليل حين محمد : قراءات نصية في الشعر ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2012 ، ص 17

³ عفيف عبدالرحمان : الشعر الجاهلي حصاد قرن / دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 / 2007 / ص



أحبائه، أو العضاء من قومه و ممدوحيه حب نجد الشاعر يقدم لهم رثاء يرسم من خلاله صورة الإنسان .

يستحق الحزن على موته و الجزع من أجله ¹ فالرثاء مقترن بالمزمت و إذا ذكرها شعراء الرثاء لا يفوتنا شعر المهلهل بن أبي ربيعة في رثاء أخيه كليب بقوله :

كليب لا خير في الدنيا و من فيها إن أنت خليتها في من يخليها
كليب أي فتى عز و مكرمه تحت السفاسف إذ يغلوك سافيهها
نعى النعاة كليباً فقلت لهم ماتت بنا الأرض أم ماتت رواسيها ²

فالشاعر يتحسر على موت أخيه ، و هو صادق العاطفة في رثائه و حزنه ، وهذا واضح من خلال أبياته .

و تستمر رحلة الألم عند الشعراء ، فهذا " الممزق العمدي " يأسف على نفسه و هو يتخيل ما سيضع به أهله بعد الموت قائلاً :

هل للفتى من بنات الدهرين واق أم هل له من حمام الموت من واق
قد رجلوني و مارجلت من شعب و ألبسوني ثياباً غير أخلاق
و رفعوني و قالوا يا رجل و أدرجوني كأني طي مخراق ³

فالشاعر في هذه الأبيات مصيبيته عندما وجد غريباً عن وطنه و دياره ، إذ جاء إليه الموت ولم يجد مفراً من لقائه فنظر حوله فلم يجد أحداً من أصله حوله ، و نجد " أوس بن حجر " يرثي صديقاً قريباً إلى قلبه و سيدياً من سادة بني أسد و هو " فضالة بن كعدة " يقول:

¹ حني عبد الجليل يوسف : الأدب الجاهلي (قضاياها و نصوصه) ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ص349

² المهلهل بن ربيعة : الديوان ، ص 89.

³ الضبي (المفضل بن محمد بن بعلي) ، المفضليات ، تح ، أحمد محمد شاكر و عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 ، دت ، ص300



ألم تكسف الشمس و البدر
 الكوكب للجبل الواجب
 لفقد فضالة لا تستهوي
 الفقود ولا حله الذاهب
 ألها حتى حسن أخلاقه
 على الجابر العظم و الحارب¹

فالشاعر هنا يطالب أن تتكسف و من القمر أن ينخسف ، و من النجوم أن تنطفئ
 حزنا على فضالة ، و هذه الأبيات صادقة العاطفة ، فالشاعر يتحسر على موت صديقه و
 يطالب النجوم أن تشاركه البكاء و الحزن .

ومن رثاء النساء في هذا العصر نجد رثاء "الخنساء" لأخيها الصغير تقول :

يؤرقني التذكر ... و اصبحت قد بليت بفرط نكسي

على صخر و أي فتى كصخر ليوم كريضة و طعان حلس².

ولم تكتفي الشاعرة بذلك بل حاولت من شدة حسرتها و نواحاها على أخيها إشراك الطبيعة في
 حزنها و ألمها الذي تعيشه محاولة بذلك نقل مصابها من الإطار الذاتي الخاص إلى إطار
 عام حيث تقول :

و الشمس كاسفة لمهلكه و ما اشتق القمر

و الانس تبكي ولها و الجن تسعد من سهر

و الوحش تبكي شجوها لما أتى عنه الحبر³

فالخنساء ليست هي الوحيدة الحزينة على موت أخيها فحتى الطبيعة بكل ما فيها حزنت على
 موته و شاركتها الألم .

أما الحديث عن رثاء الملوك و السادة و الأشراف و شيوخ القبائل نجد " النابغة
 الذبياني " الذي رثى " النعمان بن المنذر " بإعتباره ملكا للعرب بقوله :

من يطلب الدهر تدركه مخالفه و الدهر بالوتر تاج غير مطلوب

ما من أناس ذوي مجد و مكرمة إلا يشد عليهم شدة الذيب

¹ أوس بن حجر : الديوان ، تج ، محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1967 ، ص 90

² الخنساء : الديوان ، ص84

³ المصدر نفسه ، ص 63



حتى يبید ، على عمد ، بالنافذات من النبل المصاب¹

نرى ان الشاعر في هذه الأبيات يتحصر على فقدهم الملك ، و يبين بأنه مهما كانت مكانة أي شخص فإن الموت مصير محتوم لكل واحد و انه لا مفر منه .

3-2- الرثاء في العصر الإسلامي :

يعد الرثاء من الأغراض التقليدية في الشعر العربي " لأنه مرتبط بالإنسانية و الحقيقة الأزلية التي تتجلى في أن نهاية كل كائن حي هي الموت والزوال ، مما جعل الشعراء يبكون على موتاهم أو قتلاهم ، و يسجلون ذلك شعرا إلا أن هذا البكاء فيه جانبان :
- الأول: تسجيل مشاعر الرائي و إظهار لوهة حزنه و فجيعة .

- الثاني: بيان مكانة المرثي و تأبينه ، أي ذكر خصال الخير التي عرف بها زمانه .

و من هنا فإن صورة الرثاء هي مجرد عناصر المثل الأعلى في المجتمع فهو مثل المديح إلا أنه يخص ممدوحا غائبا من الوجود و هو المرثي².

وقد عرف الرثاء تطورا كبيرا في العصر الاسلامي ، فظهور العقيدة الجديدة أحدثت فيه نوعا من التغيير ، حيث يبتعد الرائي عن كل المعاني التي تضم اللوعة و البكاء و اليأس، و اصبحت مراثي الاسلام تتضمن معاني الجهاد و الاشادة بالبطولة و الشهادة في سبيل الله بمبادئ الدين الحنيف كما تميل هذه المراثي في بعض الاحيان الى هجاء بعض المشركين وقتلهم³.

فمن الطبيعي أن يعرف هذا الغرض تطورا نظرا للتعبير الذي جاء به الدين الاسلامي و تأثيره في لغة العرب و اساليبهم .

ولكن بالرغم من الانقلاب الذي أحدثه الاسلام في حياة الناس " إلا أن غرض الرثاء في هذا العصر إمتاز بنفس ما كان عليه في العصر الجاهلي ، بخلاف نظريته للميت

¹ النابغة الذبياني : الديوان ، شرح حمد و كماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2005 ، ص 21

² ابتسام مرهون الصفار : الأمالي في الادب الاسلامي ، دار المناهج للنشر و التوزيع ، د.ط ، 2006 ، ص 242.

³ سراج الدين محمد : موسوعة المبدعون الرثاء في الشعر الادبي ، دار راتب الجامعية ، د.ط ، دت ، ص 5 ، 6



فأصبحت التعابير الإسلامية مفتاح هذه المراثي.¹ و بذلك أصبحت المراثي الإسلامية تزهر بمعاني التي تشيع رضا و أملا و يتجلى ذلك في قول " حسان بن ثابت " يرثي الرسول صل الله عليه و سلم :

بطيبة رسم لرسولي و محمد منير ، وقد تعفوا الرسوم و تهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد
بها حجرات كام ينزل وسطها من الله نور يستضاء و يوقد.²

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن حسان بن ثابت يبكي الرسول صل الله عليه و سلم بإعتباره شاعره يدافع عنه و عن دينه و عن المسلمين بشعره ، فهو فقد ملهمه و سنده الذي يدعمه ، لهذا نجده يحزن على موته و يندبه بعبارات حزينة ، كما نجد أن هذه الأبيات متأثرة بالمقدمات الطللية الجاهلية حيث يستغل الشاعر وقوفه على الأطلال ليعبر عن حزنه العميق .

لكن بعد مجيئ الإسلام اتضحت معالم الدين و تعاليمه ، مما كان له أثر مباشر في تعبير الشاعر عن حقيقة الحياة الدنيا و متاعها الزائل .

ومن ذلك مضى الشعراء في هذا العصر يوضحون بأن الرثاء قد طبع بروح دنية.³
فبعدهما توفى الرسول صل الله عليه و سلم رثاه بن ثابت كذلك قائلا :

تا الله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل النبي ، رسول الرحمة الهادي .
ولا برا الله خلقا من بريته أو في بذمة جار أو ميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به مبارك الأمر ذا عدل و ارشاد⁴

¹ محمد حسن أبو ناجي : الرثاء في الشعر العربي أو جراحات القلوب ، ص 111

² حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 54.

³ مصطفى غبد الشافي الشوري : شعر الرثاء في صدر الاسلام ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996 ، ص 19

⁴ حسان بن ثابت ، الديوان ، ص 59.



فوجد حسان يرثي الرسول صل الله عليه و سلم و يبكيه يقف متذكرا صفاته و أخلاقه، فرثاء الرسول الكريم ينصب في معاينه الأساسية ، على الإحساس بالفجعة المرة لفقده لأنه الوحي الملمم للمسلمين فهو الهادي الأكمل خلقا و خلقا.

كما ظهر نوع آخر من المرثي في هذه الفترة هو رثاء الخلفاء الراشدين فقد رثى الشعراء الخلفاء و ممن ماتوت أو قتلو و نجد " أبي محجن الثقفي " يرثي " أبا بكر الصديق " عندما توفي قائلا :

و سميت صديقا وكل مهاجر يسواك سمي باسمه غير ، مذكر

و بالغار سميت بالغار صاحبه و كنت رفثقا للنبي المطهر

سبقت إلى الإسلامي والله شاهد و كنت جليسا بالعريش المشعمر .¹

فالشاعر يتحدث عن مكارم و فضائل أبي بكر الصديق أنه ثاني من بايع الرسول صل الله عليه و سلم ، و آمن بالرسالة ، وقد شاركت المرأة في الرثاء لتلك الفترة " فرثت الإبنة أباه ، و الزوجة زوجها ، والاخت أخاها و الام أبناءها ، بل نجد بعضهن يرثين أيضا من قتل أثناء الحرب فبرعت المرأة في تصوير مدى حزنها على فقيدها .² ومن ذلك بكاء " عائشة رضي الله عنها " على أبيها " أبي بكر الصديق بقولها :

إن ماء الجفون ينزحه الهم و تبقى الهموم و الأحزان .³

فوجدنا صابرة على فقدان والدها لأنها مؤمنة بقضاء الله و قدره ، فقد شاع في شعرها روح الإسلام و تعاليم الدين .

ومنه فقد عرف الرثاء في صدر الإسلام جملة من المميزات تتمثل في تنوع الرثاء في هذا العصر "رثاء الرسول صل الله عليه و سلم ، رثاء الخلفاء ، كما عرف عندهم أيضا ما يسمى برثاء الآباء و الأزواج ، كما ثبتت المعاني الإسلامية في شعرهم . " فقد كان الشعراء

¹¹ مصطفى عبدالشافى الشوري : شعر الرثاء في صدر الاسلام ، ص 245

² مصطفى عبدالشافى الشوري : شعر الرثاء في صدر الاسلام ، ص 75

³ المرجع نفسه ، ص 76



الجاهليون يتطرقون إلى معاني تكشف عن تفسير عيوب القتلى ، و أصبحت معاني الإسلام تهدف إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور و الإشادة بفضل الميت .¹

كقول حسان بن ثابت في رثاءه لأبي بكر الصديق :

خير البرية أتقاها و أرفها بعد النبي و أوفاهما بما حملا

التالي الثاني المحمود مشهده و اول الناس ظهرا صدق الرسلا.²

فحسان بن ثابت يعدد محاسن أبي بكر الصديق و مدحه بما عرف به في حياته من تقوى و عدل و وفاء و صدق.

3-3- الرثاء في العصر الأموي :

كثر الرثاء في العصر الاموي ، و اتسعت مساحته بسبب الأحداث المتلاحقة ، و الثورات و الفتن التي ولدت مع ضده الدولة ، و قد أغنت الأحزاب السياسية و الفرق المختلفة كالهاشميين ، والخوارج ، و الأمويين تراثنا الشعري ، كما ظهرت ألوان جديدة بالإضافة إلى الألوان القديمة ، ولعل أروع رثاء للنفس هو رثاء " مالك بن الربيب " الذي يقول في قصيدة له :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بجنب الغضا أرجي القلاص النواجيا

فيا صاحبي رحل دنا الموت فأحفرا برابيتة ، إني مقيم لياليا .

تفقدت من يبكي علي فلم أجد يسوى السيف و الرمح الرديني باكيا

عجوزي و أختي اللتان أصيبتا بموتي و بنت لي تهيج البواكيا .³

في هذه الابيات شكوى و حنين ، فالشاعر يتمنى لو أنه لم يفارق الغضا و أهله ، اما رثاء الأخوة فقد كان له حظ موقور من الشعر الرثائي و من الشعراء الذين عانوت فقدان الإخوة نجد " الشمردل اليربوعي " الذي قتل له إخوة ثلاث هم " حكك و وائل و قدامة . " و عبر عنهم بأشعار فيها ألم و حزن حيث يقول :

¹ إبتسام مرهون ، الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 242

² حسان بن ثابت : الديوان ، ص 174.

³ أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب ، ص 607



و الموت يولع كل يوم وضيفة منا بأصل سماحة و زياد

كاموا إذا نهل القنا لسبيلهم تسكبوا السيوف أعالي الأعماد

و لقد علمت ولو مضوا لسبيلهم و أطل ذكركم ضمير فؤادي¹.

فالشاعر يتحسر على موتهم و يذكر خصالهم و انه سيبقى يذكرهم دائماً .

كما كان الشعراء في هذا العصر يبكون الدول المتهاوية ، تعتبر دولة بني أمية أول

دولة بكأها الباكون و من هؤلاء الشعراء " أبو العباس الأعمى المكي "

يقول في أبيات له :

كيت شعري أفاح رائحة المس ك و ما اخال بالحييف انسي

حين غابت بنو أمية عنه و التهايل من بني عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا ن عليها و قاله غير عرس².

فالشاعر هنا يبكي بكاء حارا و يتألم و يتحسر لسقوط هذه الدولة و يعبر عنها في

هذه الأبيات التي تفيض بالعاطفة الصادقة .

ومن الألوان الجديدة في هذا العصر نجد لجمع بين التعزية و التهنتة ذلك أن الخلفاء

و السلاطين كانوا يتوارثون إمارتهم ، فكان الشاعر يقوم فيعزي السلطان الجديد في أبيه و

يهنته بحكومته و دولته .

لقد شهد العصر الأموي تنوع الأحزاب السياسية ، كالشيعة والخوارج و الزبيرين وقد

كان حزب شعراء يبكون قتلاهم أثناء المعارك و يهجون أعدائهم .

ومن أمثلة مراثي الأحزاب السياسية نجد من المشاهد الرثائية لدى شعراء الحزب

الزبيرى نجدها تشمل حوار الشعر حول القتل بصفة خاصة و على الأخص ما كان من

مقتل مصعب بن الزبير الذي دفع الشاعر إلى تبني رثائه من زاوية سياسية راح يسخر فيها

¹ نوري حمودي لقيسي : شعراء أمويون دراسة و تحقيق ، مطابع مؤسسة الكتب للطباعة و النشر ، د ط ، 1976 ، ص

² شوقي ضيف : الرثاء فنون الأدب العربي ، ص 41



من الشاعر قبائل مصر التي غدرت به و خلت بينه و بين جيوش عبد الملك بن مروان بموقع سكن قريب من الكوفة ، إذ يقول " ابن قيس ارقيات ":

إن الرزية يوم مس
يا ابن الحواري الذي
كن و المصيبة و الفجيرة
كم يعده أهل الوقعة¹

فالشاعر هنا يصور الحدث و وقعه على نفسه و أثره في بناء حزبه أما رثائيات الشيعة فتبين من خلال تصوير جرائم الإغتيال السياسي وكذا بداية الفتن و الصراع حول الخلافة أ ما الخوارج فإن الرثاء لديهم يتخذ نفس محورية النظرية السياسية التي يحاولون الدعاية لها.²

وعليه فإن هناك اختلاف في مرثي شعراء الأحزاب السياسية في العصر الأموي نتيجة لتعاملهم مع الظروف المحيطة به .

3-4- الرثاء في العصر العباسي :

بقد شهدت الدولة العباسية اتساعا شمل تطورا في مختلف الأجناس الأدبية و نتيجة لهذا الإتساع تعددت ألوان الرثاء و كثرت لتشمل الرثاء الشخصي ، ورثاء المدن و القصور، وحتى رثاء الحيوانات .

وإذا بدأنا بالرثاء الشخصي فإن رثاء الأطفال و النساء يعد أصعب ألوان الرثاء و هذا كما يقول " ابن رشيق " من أصعب ألوان الرثاء أن يرثي الشاعر طفلا أو امرأة ، لضيق الكلام عليهما و قلة الصفات فيهما.³

يقول الشاعر أبو العتاهية و هو معروف بالزهد و الحكمة ، عندما أصيب ابنه وقف

على بره قائلا : كفى حزنا بدفنك ثم أني
نفضت تراب قبرك من يديا
و كانت في حياتك لي عضات
فأنت النوم أوعظ منك حيا⁴

¹ مي يوسف خليف : أبعاد الإلتزام في القصيدة الاموية ، دار غريب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ص223

² ابن رشيق القيرواني : العمدة من محاسن الشعر و آدابه و نقده ، ص 154

³ أبي العتاهية : الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، د ط ، 1986 ، ص 5-6

⁴ مي يوسف خليف : مرجع نفسه ، ص 223-224



كما نجد كذلك أبا تمام يرثي أخا له قائلا :

إني أظن البلى لو كان يفهمه
يا مودة لم تدع ظرفا ولا أدبا
لله ألاحظه لو الموت يكسرهما
يرد أنفاسه كرها و تعطفها
صد البلى عن بقايا وجهه الحسن
إلا حكمت به اللحد و الكفن
كأن أجفانه سكرى من الوسن
يد المنية عطف الريح للغصن¹

فالشاعر يشعر بالحزن الشديد لفراق أخيه ، و يصور في هذه الأبيات صراع أخيه مع الموت ساعة الاحتضار ، فقد رأى أخاه و الموت يكسر أجفانه و يخنق أنفاسه .

كما نجد كذلك " مروان بن أبي حفص " يرثي القائد البطل معن بن زائدة قائلا :

مضى لسبيله معن و أبقى
كأن الشمس يوم أصيب معين
هو الجبل الذي كانت نزار تهد
و كادت من تهامة كل أرض
مكارم لن تبيد و كن تنالا
من الإظلام ملبسه ظلال
من العد و به الجبالا
ومن نجد تزول غداة زالا²

فالشاعر يبكي المكارم و الشجاعة الضائعة التي كانت لهذا الفقيه و يصور لنا خزنه الشديد على فراقه .

أما بالنسبة لرثاء المدن فالشعراء أبدعوا في رثاء مدنهم فمن المدن التي رثاها العباسيون بغداد ، إذ يقول " الخريمي " قالوا :

و كم يلعب الزمان ببغ
إذا هبى مثل العروس باطنها
داد و تفتت بها عواثرها
مشرق للفتى و ظاهرها
جنة خلد و دار مغبطة
قل من النائبات و اترها³

¹ ابي تمام : الديوان ، شرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف القاهرة ، ط3 ، د ت ، ج4 ، ص 146

² سراج الدين محمد : موسوعة المبدعون الرثاء في الشعر العربي ، ص 31

³ ثامر سمير حسن الشمري : المحات في الشعر العباسي ، دار بابل للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 ، 2014 ، ص 42



فالشاعر يتحسر على بغداد بعد الفتنة التي أصابتها و الدمار الذي لحقها ، فقد شبهها بالعروس و وصفها بجنة الخلد .

كما نجد ذلك الرثاء الحيوانات الذي شاع في هذا العصر نتيجة للرثاء الذي شهده و انتشار حياة الترف وقد بكى " أبو نواس " كلبه الذي لدغته حية في عرقوبه قائلاً :

يا بؤس كلبى سيدا الكلاب قد كان أغناني عن العقاب ¹.

فالشاعر في هذا البيت يتحسر على فقدانه لكلبه ، و يمدحه في نفس الوقت لأنه يمثل له الصديق المخلص و حارسه .

3-5- الرثاء في العصر الأندلسي :

يعتبر الرثاء من الأغراض الشعرية الأكثر التصاقاً بالوجدان البشري و هو أكثر الإصابات المفجعة التي انتابت الإنسان منها ما يتدرج في سنة الحياة ، حيث تكون الإصابة في البدن بإعتبار أن الموت باب و كل انسان داخله ، و منها ما يمكن اعتباره من صنع الزمن و قسوته ، و ذلك حيث تكون الإصابة في المدينة أو الوطن كبلاد الأندلس فهي من أكثرها حزناً ².

وكما ذكرنا بأن شعر رثاء المدن المماليك تطور في الأندلس تطوراً ملحوظاً و ظهر بحلة جديدة ، فقد تفرع إلى أنواع كثيرة منها رثاء الأقارب سواء كانوا أبناء أو اخوة و أحباب وكلما زادت العاطفة أسى و حسرة .

و من امثلة ذلك نجد " الرمادي " يرثي أخاه قائلاً :

أخي خالي لفقدك عن حفون كحال الشمس في فقد الشعاع
عداني عنك تحجيز و غدر طريف أن أصحت إلى استماع
و ذلك أن جرى دمعي نجيعاً و فاض من الصدور بلا انقطاع ³.

¹ أبو نواس : الديوان ، عزيز أباصة ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص 105

² فورار محمد بن لخضر : الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية ، دار الهدى للطباعة و النشر ، د ط ، 2009 ، ص

³ عبداللطيف عيسى : شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف ، دار غيدا ، ط 1 ، 2013 ، ص 54 .



فالشاعر بدأ مباشرة برثاء أخيه ، فالحسرة تتتابه و الألم يستحوذ عليه كما أنه ربط حالة الطبيعة .

وهناك ضرب آخر من الرثاء و يتميز بصدق العاطفة و حرارة الانفعال و الاكثار من التفعج و التحسر و هو رثاء الشعراء لأبنائهم و ذوي رحمهم فمن ذلك أبيات قالها " أبو الوليد بن عفير يرثي أبناءه الذين أختطفهم الموت ، و يحن إلى أبنائه الآخرين الذين باعدت الأيام بينه و بينهم :

أودى ببعض بني عائلة الردى و نأت ببعضهم على بلاد

فتغنى ابراهيم شب بأضلي لها مشيب الرأس عنه رماد

و أدم عمري بعد فقد محمد إن كم يجن منه على نفاذ .¹

كما أن العربي عرف بحبه لوطنه فتغنى بجمالها لها و طبيعتها الجمالية ، إلا أن هذا الحب قد يتحول إلى بكاء و نواح في حالة الفقد ، فمن فنون الرثاء التي ظهرت رثاء المدن.²

فطبيعة الاندلس الفاتنة التي سحرت أعين أصلها تثبت فيهم حب الوطن فاندفعوا إلى قول الشعر ، و من أروع ما قيل في رثاء الممالك و العروش المتهاوية قصيدة " أبو البقاء الرندي " النونية التي بكى فيها أهل الأندلس قائلاً :

كل شئ إذا ما تم نقصان فلا يغير بطيب العيش انسان

هي الامور كما شاهدتها دول من سره الزمان ساوته أزمان

وهذه الدار لا تبقى على احد ولا يدوم على حال لها شأن .³

¹ فوزي عيسى : الشعر في عصر الموحدين ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ، ط1 2007 ص 168

² عبد اللطيف عيسى : مرجع نفسه ، ص 98

³ اسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين ، تاريخ الاندلس من الفتح حتى السقوط ، تح ، انور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، 2007 ، ص 104



فالشاعر يعبر بنغمة حزينة ، بذكر فيها ما حصل لأهل الأندلس و إنسحاق شموخها و غياب علومها و منابرها ، كما انه ينبه الناس من الإغترار بطيب العيش لان دوام الحال من المحال .

و يقول " أبو بقاء الرندي " كذلك :

قواعد كن أركان البلاد فما عسى البقاء إذا لم تبقى أركان
تبكي الحنيفة البيضاء من أسف كما بكى لفرق الإلف هيمان
على ديار من الاسلام خلية قد افقرت و لها بالكفر عمران

كل هذه الظروف القاسية المليئة بالأسى ، و اللوعة جعلت فنون الشعر كالرثاء تزدهر على أيديهم بشكل او بآخر .

وفي رثاء المدن أو تصوير أحوالها البائسة و ظروفها السيئة ما أنشده ابن حزم في تصوير قرطبة بعد الفتنة و ما أصابها من التدمير و الخراب إذ يقول :

بك على قرطبة الزين فقد دهتها نظرة العين
أنظرها الدهر و بأسلافه ثم نقاضى جملة الدين
كانت على الغاية من حسنها و عيشها المستعذب ب اللين
انعكس الأمر فما إن ترى بها سرورا بني اثنين¹

فالشاعر يرى قرطبة أصابتها العين ، فبعد أن سكت عنها الدهر مدة طويلة ، أسترد من أسلفها إياه من الامان و السلامة فأنعكس الأمر و أصابها الدمار و الخراب .

4- المدينة في التراثين الغربي و العربي :

لقيت المدينة انتشار واسعاً في الشعر ، نظراً لأهميتها و مدى أثرها على الشاعر ، فهي التي تستقطب أفكاره و هي التي تستوعب جنونه و رشده ، و معظم حالاته النفسية ، إذ أنها تتحكم في انفعالاته ، فإن كانت هادئة آمنة كانت نفسه كذلك ، و إن كانت في فوضى و اضطراب ، اهتزت مشاعره و كياناته ، و صارت تتطابق مع حالتها ، فالشاعر يعد المرأة

¹ محمد رضوان الداية : الأدب الأندلسي ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2000 ، ص 158



المعاكسة لها ، يصورها في عزها و يفخر هو بذلك ، و يصورها في ذلها مع إذلال لنفسه أيضا ، اي أنه يقوي بقوتها و يضعف بضعفها .

غير أن من كان لهم لهم السبق في تناول موضوع المدينة هم الاغريق ، نظرا لتكون أولى معالمها عندهم ، حيث كانت مدينتهم مطمعا لكا فرد ينتمي اليها و يسكن مدينة أو مكان آخر ، فلقبت الولايات من قبلهم ، فتم رثاؤها بعدما كانت مدينة فاضلة و صارت فردوسا مفقودا ، ما الشاعر العربي و صلت اليه متأخرة ، هذا لأنه لم يعرفها إلا بعد العصر الجاهلي ، اي ان المدينة كانت تهم الإنسان شاعرا كان أم عاديا ، غربيا أم عربيا ، و كان هذا حسب اهميتها و مكانتها عند كل منهما و تجلى ذلك فيما يلي :

4-1- المدينة في التراث الغربي :

نظرا لأهمية المدينة " اسس الانسان القديم و الإغريقي على وجه الخصوص مدينة من أجل تلبية حاجاته الجسدية منها و النفسية فكانت (...) المدينة هي بيت المجتمع ، و الشارع بهو الجميع ، الكل يتقانى في خدمتها (..) و يبذل أعلى ما لديه للدفاع عن أمنها الداخلي و الخارجي¹.

اعتبر " افلاطون " أن ما يجمع الناس هو مادياتهم التي يتبادلونها فيما بينهم ، مما ساعد على انعدام العدالة و ساد الظالم و ظهرت المشاكل " فمدن الاغريق لم تكن مدنا مادية حسب ، بل ساعدت للمحاورة و المثاقفة و استعراض الفنون أيضا (...) فالمدينة في عرف الاغريق كانت مدينة ذات وحدة حضارية متكاملة ، و سموا بها الابداعات الشعرية (...) لقد تفننوا من التعني بها و بكاء أطلالها (....) من جراء تلك الغارات ، على رأسهم (هوميروس) الذي استطاع أن ينقل بأمانة و عمق و أصالة ، ما تعرضت له من بعض المدن من حرائق و تخريبات ، و برع على الأخص في تصوير من لا مدينة لها في الاوديسا².

¹ قادة عقاق : دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، دط، 2001 /

ص21

² قادة عقاق : دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ص 25



و عن المدينة في التراث المسيحي تعد مدينة الجنة ، لاكتساب جلالا خاصا و تقديسا كونها تمثل النظام و الجمال و الأمن الإلهي ، على شكل مدينة محصنة ، اضافة على أنها تمثل نمط نشوء الحضارة و من مدنها روما و البندقية و ميلان و عندما تحولت مراكز المعرفة و الشريعة من الأديرة إلى الجامعات و أصبحت المدينة في عرف القديس " أغسطس دير " و هكذا اندمج الروحي بالمادي و تألف و اكتسبت المدينة بذلك جلالا و قدسية و أصبحت جنة أرضية .¹

والمدينة في التراث العبري هي الفردوس المفقود انها " مدينة الله و هي تمثل التضامن و الاتحاد و التحاب ، و خروج الانسان من هذه المدينة يعتبر غضبا إلهيا عليه (...) و لذلك هو دائم البحث عن هذه المدينة الفردوس ، ولا يتمكن من إيجادها في جميع الأحوال ، فيختار السكن في المدينة الأرضية (الجحيم) و يبقى دائما ينظر إليها بعين مريبة و نفس متللمة شاعرا بانفصاله له عنها و غربته.²

وهذا يظهر في تاريخ العبريين ، إذ لم يصلنا عنهم أنهم استقروا في المدينة منذ الكون ، فكانوا دوما في حالة بحث عنها ، إذ كانت حالتهم تدل على الضياع و التشرذم و الشتات ، فلن يجدوا مدينتهم إلا عند الله ، أي لا مكان لها في الواقع ، ثم ظهور مدينة عند الغرب أولا فكانت نشأتها مزدهرة في شتى الميادين ، و صارت موضوعا مهما في أشعارهم ، فتفننوا في التغني بها و البكاء عليها ، عندما تحولت أطلالا فرثوها ، بعدما لقيت حتفها تحت وطئ الغارات و تحولت إلى خراب .

4-2- المدينة في التراث العربي :

نلاحظ ان المدينة في العصر الجاهلي تكاد تغيب ، و سببه ان العربي كان بدويا يعيش ترحالا دائما ، فلا مكان محدد يمكث فيه إلا و انتقل منه إلى آخر باحثا عن ما كله و ما يحقق له العيش ، وعليه هم الشاعر الذي يشغله مرتبط بالمكان ، ثم بالأرض العامرة

¹ المرجع السابق ، ص 26

² المرجع نفسه ، ص 26



المرتبطة بالمرأة المعطاءة ، وعليه " لم يكن الشاعر الجاهلي يبكي حضور المدينة بقدر ما كان يبكي غيابها (..) يبكي أطلالها الدارسة و خلوها من أهلها ¹.

ومع مجيئ الإسلام و نزول القرآن ، حدث تغير و تحول في المفاهيم الجاهلية لأن الإسلام بالنسبة للجاهلي ثورة على كل المفاهيم ، " لزاما علينا ان نبدأ بالقرآن الكريم ، (..) فكان تنويرا لبني العرب الفكرية، فتكونت الحواضر و تأسست المدن و أرسيت تقاليد الحكم ².

ولذلك فان لفظة المدينة في القرآن الكريم ترادف لفظة القرية، و هي مركز السلطة و مستقر الحكام ، لذلك نجد في القرآن الكريم تحذيرا واضحا و ملحا من حياة القرى و صفات أهلها ³، في قوله تعالى " (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم و أضل فرعون قومه و ما هدى)" سورة طه 78-79 ، كما نجد أخبارهم تتردد مثل الشح و عدم إكرام الضيف كما في قصته سيدنا موسى مع الخضر ⁴. يقول عزوجل " (فأنطلقا حتى إذا أتينا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدار يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لا اتخذت عليه أجرا ").سورة الكهف الآية 77.

أما بالنسبة إلى موقف الخوارج من المدينة كونها المدينة الزائفة فقد رفضوا المدم رفضا قاطعا زاعمين انها لا توافق طباعهم و لا تتسجم مع نفوسهم الزائفة في ملذات الدنيا التي توفرها المدينة ، الراضية لتسلط الحكام و طغيانهم ، ولقد كان رفضا مبنيا على اعتبارات أخلاقية دينية ، و اسس نفسية و معطيات سياسية ، ولم يتقبلوا الضيق فاعتزلوا ولم يرضوا الفساد فحاربوه (..) حيث تغيرت عقيدة العرب و افكارهم و خرجوا من قواقعهم المتناهية : البوادي و القرى و انفتحوا على عالم لا متناهية ، حاملين دينهم الجديد (..) بحيث كان

¹ قادة عقاق : دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، ص 29

²² المرجع نفسه ، ص 29

³ قادة عقاق : دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، ص 30

⁴ المرجع نفسه ، ص 30



الاسلام ، قد وحد صفوفهم و وسع الولاء و وضع له مقاييسه المعروفة و أرس دعائم الدولة (المدينة)¹.

اما في العصر العباسي و مع بلوغ المدينة اوج مراتبها ، و ما نتج عن ذلك من طغيان عمراني و تكديس الأحياء ، و كثافة بشرية ، و اختلاف في المشارب و الاتجاهات . ووجهات النظر ، و فقدان التماسك الصلات ، و تزعزع القيم، و من ثم تيهان الذات و شعورها بالقهر و المحاصرة و الانسحاق ، فقد تراوحت هذه الردود بين الرفض التام : لما هو قائم و السخرية منه و التعالي عنه ، و أحيانا الانعزال و الانفصال². لقد تجلت حساسية المدينة و قوة التعبير عنها على أشدها في هذا العنصر و امتثلت في رفضها للقديم و لكن لكل منها سلوكه الخاص به في هذا الرفض .

¹ المرجع نفسه ، ص 32-33

² قادة عقاق ، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، ص 44



ثانيا : فن رثاء المدن .

1- لمحة عن نشأة فن رثاء المدن :

من الواضح ان المدينة بالنسبة إلى الشاعر تمثل " مكان الأهل الذي يمثل عادة مسقط رأس المؤلف أو محل إقامته و عائلته ، كذلك تعتبر المكان الأليف : و نعني به كل مكان يثير الإحساس بالألفة ، وكل مكان عشنا فيه و شعرنا فيه بالدفئ بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا".¹

ومع ضياع هذا المكان أو حدوث طارئ ما ، نجد الشاعر في هذا الأمر يلجأ إلى مشاعره لي طرح ما فيها من تعابير صادقة لأن " الاحساس بفقد المكان إحساس عميق ، ينبثق من صميم وجدان المرء و عواطفه ، و كيف لا يشحن الذهن مثل هذا الموضوع بالغبرة ؟ بل : كيف لا يستولي المكان على الاهتمامات الانسان اكثر ؟ فإذا ما فقده فقد تلك الاهتمامات جميعا".²

لقد افترض الباحث (جاكسون) أن مصطلح (pillaow) ربما يشير إلى رثاء المدينة بينما ذهب هالوا (hakkow) إلى أن er التي لها معنى أدبي و هو الدمع أو المرثية يمكن أن تكون بهذا الإطار حيث تساوي المعاجم بين كلمتي و pillag بوصفها مصطلحين بأدب " المرثي " ، فإن مرثي الحزن المعروفة بإسم pillag كانت تستخدم أسلوب النجاح er بالسومري ، كم ورد مصطلح ur-kzis-re في النصوص السومرية بمعنى صلاة الدموع أو صلاة الرثاء.³

أما عن مكان تدوين النصوص الخاصة برثاء المدن السومرية ، فيعود إلى العصر البابلي القديم (1595 ق م) و هو العصر الذي شهد نهاية اللغة السومرية كلغة رسمية للبلاد.⁴

¹ محمد عويد الطربوكي : المكان في الشعر الاندلسي من عصور المرابطين حتى مهاية الحكم العربي ، دار رضوان ، عمان ، الاردن / ط1 ، 2012 ، ص 13-14.

² المرجع نفسه ، ص 26

³ المرجع نفسه ، ص 28

⁴ محمد عويد الطربوكي : المكان في الشعر الاندلسي ، ص 28



أما عند المشاركة فقد " جبل العربي على حب الأرض منذ وجد عليها ، فتعني بجمالها و طبيعتها الجميلة و ملاعب شبابه و مواطن ذكرياته ، (..) إلا أن هذا الحب و الإعجاب يتحولان إلى بكاء و نواح في حالة الفقد ."¹

لقد رأينا مدنا في المشرق تتساقط أوراق الشجر تستوجب الرثاء و البكاء ، كما سقطت بغداد في أيدي " التتار " و أزالوا كل ما فيها من مظاهر المدينة و الحضارة و غزا (هولاكو) و (تيمور لنك) و نحوهما بلاد الشام و أسقطوهم بلدا بلدا ، فكانت بغداد أول مدينة تعرضت للتدمير و الحريق في صدور الدولة العباسية ، (197 هـ - 812 هـ).²

إن المعتدي لا تكون المدينة محط أنظاره ، إلا إذا كانت متحضرة قوية ، و فيها من المطامع ما يملأ عينه ، فيتحين اللحظة المناسبة ، و ينقض عليها و تصبح فريسة سهلة للصيد ، و هذا أما حدث مع بغداد و غيرها من المدن الشرقية .

وعلى الرغم من " أن البكاء في الشعر عرفه شراء المشرق ، إلا أنهم لم يبلغوا فيه شأن المغاربة و الأندلسيين ، الذين كانوا فيه أكثر روعة ، و لعل ذلك يعود لكون خراب المدن و زوال الدول تباعا ، إنما وقع بكثرة في المغرب العربي ."³

عرف فن رثاء المدن في أول ظهور له كمصطلح عند الغرب ، وكان يعرف ب er و pllag إلى أن وصل إلى المشاركة ، حيث تطرقوا في أشعارهم ، واصفين ما حل بمدنهم ، غير أن الملفت للانتباه أن فن رثاء المدن لقي رواجاً و انتشاراً في الأدب المغربي ، و هذا بسبب توالي الفواجع التي أصابت مدن شعرائها.

¹ عبداللطيف عيسى : شعر الرثاء في عصر الملوك الطوائف في الأندلس ، دار غيداء ، ط1، 2003 ، ص 17

² ينظر محمد رجب البيومي : الادب الاندلسي بين التأثير و التأثير ، دار العربية للكتاب ، ط1، 2008 ، ص 227-230 .

³ سعد بوفلاحة : دراسات في أدب المغرب العربي ، منشورات بون ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص 116



2- رثاء المدن و تطوره عبر العصور:

2-1- رثاء المدن في العصر العباسي:

من خلال ما تقدم من مفاهيم في الرثاء و المدينة نجد أن الرثاء في بدايته كان مقتصرًا على الأشخاص من ثم انتقل إلى رثاء الأمكنة و هذا ناتج عن الاستقرار الذي عرفه الانسان بصفة عامة و الانسان العربي بصفة خاصة .

ولعل العصر العباسي الذي يمثل عصر ازدهار الحضارة الاسلامية بفعل ظهور حواضر كبرى مثل بغداد ، شجع المبدعين على توظيف المدينة في ابداعاتهم و مانتج عن هذا الاستقرار من حنين إلى البوادي .

لقد ظهرت بعض بعض المتغيرات السياسية بفعل سقوط مدن جعل بعض الشعراء يرثونها " و هذا ما جسده ابن الرومي في بكائه لمدينته حينما اقتحمهما الزنج يقول :

كم اغتصبوا من شارب بشراب و كم اغتصبوا من طاعم بطعام

كم ضنين بنفسه رام منجئ فتلقوا جبينه بالحسام

كم أخ رأى عزيز بنيه و هو يعلي لصارم صمصام

كم رضيع هناك قد فطموه بشبار لطف قبل حين الفطام.

كم فتاة بخاتم الله بكر فضحوها جهدا بغير اکتيمام

فهذه الابيات من شاعر عاش فترة مظلمة من تاريخ العرب عبر عن حزنه و أساه الشدسد اتجاه ما فعله الزنج بإحدى حواضر الخلافة¹

2-2- رثاء المدن في العصر الأندلسي :

وفي هذا العصر رأينا تجسيدا حقيقيا لهذا الفن إثر المآسي التي حلت ببلاد الأندلس فقد بدأت المدن تتساقط أمام أعين أهلها الذين لم يستطيعوا تغيير شيء " و هكذا صارت المدن تتساقط بعد أن تغلبت عليهم أعدائهم من المسيحيين فأخرجو من ديارهم مشردين و نفوسهم تهفوا إليها و يشند حنينهم²

¹ شوقي ضيف : الرثاء ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ط03 ، دت ، ص47

² عبداللطيف عيسى : شعر الرثاء في عصر ملوك الطوائف في الاندلس ، ص97



ويمكن أن تسجل بعض النقاط على رثاء المدن في العصر القديم :

- تتصف مرثي الأندلس بطابع التشاؤم ، لأنها تتبع من كون أن المدن الساقطة محال أن تعود لسابق عهدها عكس مرثي المشاركة الذي يرن النكسة التي حلت بهم مجرد عاصفة و تمر .

- يلاحظ قلة المرثي في المدن الشرقية قياسا بمرثي الاندلسيين و ذلك راجع إلى كون المشاركة لم يتوسعوا في هذا الغرض " ¹

2-3- رثاء المدن في العصر الحديث :

فقد عبر شعراء المهجر عن هذا الغرض أصدق تعبير و ذلك كونهم عاشوا في بيئات بعيدة عن أوطانهم فظهر نوع من الحزن و البكاء نتيجة لذلك الشعور الغريب تجاه ما كانوا يقاسونه في الغربية التي كانت تحمل شقين ، شق ينتقد المدنية التي يعيش فيها و شق يحاول من خلاله العودة الطبيعية للرومانسيون دون استثناء باعتباره معادلا و موضوعيا للوطن إذ يعتبر أحمد مطر جبران من الذين نظروا إلى المدينة نظرة أذراء إذ وصفها بأشجع الاوصاف "و رأى الغابة مأوى للحياة النعيمة و العدالة و المساواة".²

ومما لا شك فيه أن ظاهرة الحزن و الشعور تنمي شيئا في نفسه المغترب فتصبح مسيطرة على عقله و وجدانه ، فيبكي تألما لهذا الوضع الذي يعيشه " فهذا إلیا أبو ماضي يجهر بأرض لبنان فهو يرفض أي أرض غير أرضها كما ضوضاء المدينة و يضيف درعا ساكنيها إذ يقول :

كالميت لم يطمر ولا دفنا	ويح المدائن إن ساكنها
فهمت و لكن محنة و ضنا	كم رحمت أستسقي سحائبها
قفصا ، احب الشاعر المدن	لو كان يألف بلبل غرد

¹ المرجع نفسه ، ص 117

² أنس داود : التجديد في الشعر الهجري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 181



كره الورى طول المقام بها فابسطوا العجلات و السفن¹

فالشاعر يجسد حالته النفسية انطلاقاً من هجومه العنيف على المدينة ، إذ يشكل هذا المفهوم نعيًا لحالته النفسية إلى المكان الذي يحن إليه ، كما كان للواقع الذي يعيشه هؤلاء في بلورة رفضهم إلى المدن فالاحساس بالغربة ناتج عن تناقض بين صفة الذات طبيعة الواقع المحيط بالشاعر فلم يستطيع أن يتخذ من ذلك الوطن وطناً بديلاً لاتساع الصورة بين المجتمع بقى في مفترق الطرق يتصارع بين ذاته و بين المجتمع المضيف له .
و في هذا بقول نسيب عريضة :

تدفقي يا رياح الشرق هائجة	فأنت لا شك من أهلي و خلاني
هزرت أعصاب قلبي ما خلعنا	ثوب الربيع فما بت نشوان
كسيتها ورق الاشواق فازدهرت	خضراء يعيق منها روح نيسان
تغلغلي بين أضلاعي إلى كبدي	و ضففي من حرير السائل الغاني

فالاعتراب هو الدافع المحرك الاساسي في موقف هؤلاء من المدينة و قد شاع مؤخرًا في بعض الروايات الجديدة ظاهرة نعي المدينة أو رثائها ، و هذا بفعل التحولات الكبيرة التي عرفتها المجتمعات العربية.²

¹ جورج شكيب سعادة : الموضوعات الاساسية في شعر الرابطة القلمية ، دار الحداثة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002 ، ص 450

² جورج شكيب سعادة ، الموضوعات الاساسية في شعر الرابطة القلمية ، ص464

الفصل الثاني

تمظهرات رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء"

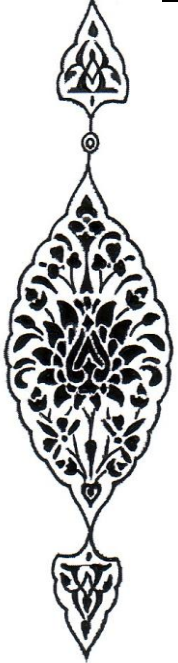
لواسيني الأعرج

أولاً: المدينة في الرواية

ثانياً: المثقف والاعتراب المكاني

ثالثاً: المدينة بين الهوية والايديولوجيا

رابعاً: المدينة بين الواقع وسطوة التاريخ



أولاً: المدينة في الرواية.

توالف الرواية أمكنة عديدة تطرح عن جنباتها جملة الأحداث والوقائع التي تحركها شخصيات كل منها يسعى إلى تحقيق برنامج معين حدده المارد لأن هذه الأمكنة عادة ما تقسم بين مفتوحة و مغلقة فإن المدينة تمثل عنصراً مكانياً دائماً داخل الرواية الجديدة فالمكان الروائي من حيث كونه إحدى الجماليات بل من أضلاع البنية الروائية وبهذا نجد الكثير من الدراسات اهتمت بالمدينة كموضوع لجماليات المكان¹، فقد أصبحت المدينة توظف داخل الرواية باعتبارها تسهم في تشكيل ذلك البعد الجمالي للمكان.

وقد شد انتباه الدارسين في هذا الموضوع وأصبح ذا حضور كبير في مجالات النقد الروائي إذ يذهب أحد النقاد إلى القول: " أن الرواية هي كائن مديني إنساب إلى المدينة الضخمة بديهية في نقد الرواية"² ، وكثيراً ما يتم الربط بين بنية الرواية ونشأتها والمدينة.

ولعل العلاقة بين المدينة والرواية، قد طرحت منذ مدة في التنظيرات الفرنسية في النقد الروائي، فقد بدأت تتعدّد منذ طرح هيجل في كتابه " الإستيطيقا " فكرة أن الرواية ملحة برجوازية إذ أريد تطور الرواية بوشائج واضحة، وبنوع من الموازاة مع المراحل الأساسية في تطور هذه الطبقة وقد تبقي جورج لوكاتش هذه الفكرة وعمقها، ثم امتد بها "ف، ف كوزينوف" امتداداً آخر، ثم ترددت ترديدات شتى بحيث استقرت مقولة راسخة في أدبيات النقد الروائي وإن كان يمكن التماس مرحلة أقدم الفن الرواية ظهرت بفعل ظهور الطبقة البرجوازية بل تسبق ظهورها،³ فكما أن الرواية ظهرت بفعل ظهور الطبقة البرجوازية لتعبر عن احتياجاتها وما تريد تحقيقه، فقد اهتمت هذه الطبقة بالمدينة وما كان يجري بها، فإن توظيفها إبداعياً لا بد له من نقل كل جزئيات المدينة وتمثيلها بأكبر قدر ممكن وبالتالي هناك علاقة وطيدة بين المدينة والرواية وهذا ما استغله النقد الروائي.

¹ ميرال الطحاوي، محرّمات قبلية- المقدس وتخيّلته في المجتمع الرعوي روائياً، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008م، ص 11.

² حسين حمودة، الرواية والمدينة، نماذج من كتاب الستينات في مصر، الهيئة لقصور الثقافة، القاهرة مصر، ط1، 2000م، ص 19.

³ المرجع نفسه، ص 19.

ومن هذا المنطلق حاول البنيويون الكويتيون الربط الآلي بين مكان محدد وآليات بنائه، وربطوا بين المدينة وبنية النص الجمالية محاولين الوصول إلى إقامة توازي بين بنية النص وعالم المدينة بتنوعها واتساع عالمها وتناقضاتها وعلاقاتها بزحامها المتشابك وبنيتها المركزية القديمة ثم الحديثة متعددة المراكز، على صيغات مفردات الفن الروائي، السرد فما هو مجمل في الرواية بكل تقنياتها موجود في الرواية كذلك.

وقد قامت العلاقة بين الرواية والمدينة يقال النور المتصاعد لكل من الرواية والمدينة فيما بعد الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر ثم بالتغيرات التي شهدتها القرن العشرون، لقد تحولت الرواية من نوع كان ينظر إليه بعين الريبة... إلى فن أدبي قادر على أن يزاحم ثم يزحزح ولماذا لا تقول: ثم يزحزح فنونا أدبيا مستقرة أو ظلت مستقرة قرونا طويلة¹، فظروف تطور الرواية واكيت نفس ظروف تحول المدينة إلى مركز حضاري كبير.

لقد أصبحت المدينة فيما بعد مدخلا رئيسا إلى تناول موضوعات شتى في مجالات عدة بعد الإقرار بتأثيرها الهائل، وتفاقم هذا التأثير الذي ترتب عنه نوع من الاستئثار بوسائط القوة المعاصرة كلها² وهذا الأمر طبيعي في كون أن الأنواع الأدبية تتأثر بما يجري حولها من متغيرات، فكما تأثر الشعر بمجريات الريف، وجمال الطبيعة الأخاذ، فالرواية مستأخذ حتما من المدينة كافة مظاهر التطور.

لقد ولفت الرواية المدينة بشكل مكثف كشف عن كل التناقضات الموجودة حيث كانت أكثر التصاقا بعالم المدينة وعلاقاتها دون الأجناس الأدبية الأخرى، بحيث تناولت معلم هذه التناقضات و العلاقات وما تتميز به من خصوصيات في كل مرحلة من مراحل تاريخ المدينة، وضمن كل ة وضيقة من طبقاتها وفئاتها الاجتماعية³.

وهذا لا ينفي توظيف الرواية الحياة الريف البسيطة، لكن هذا التوظيف كان أكثر ما يقود إلى مدى انعكاس المدينة على الحياة الشخصية الريفية فتى في الروايات التي تناولت

¹ حسين حمودة، الرواية والمدينة، نماذج من كتاب الستينات في مصر، ص 21.

² المرجع نفسه، ص 21.

³ رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، دط، 1984م، ص 14.

ذلك الأمر، تعكس تأثيرات المدينة على الريف بشكل أكثر تفصيلاً ودقة ووضوحاً من الأجناس الأدبية الأخرى التي تناولت بعض نتائجها العلاقة بين الريف والمدينة¹، في هذا النوع من الروايات نجد طابع المقارنة بين واقعين، واقع بسيط لا يتغير، وواقع حضاري يتميز بتوفر كل أنواع الرفاهية والمتعة، وكيف يحاول الشخص تحقيق حياة جديدة داخل المدينة.

وكثيراً ما يحدث نوع من التصادم بين الريف والمدينة وهذا ما تعمل الرواية على تجميده فالمدينة "تتظر إلى الريف على أنه مختلف وقع أبواب المدينة أمامه يؤدي إلى فقدانها بقدر من رفاهيتها ونظافتها ويؤثر في الخدمات الراقية التي أصبحت حقاً مكتسباً لها حتى وإن كان الريف هو الذي يمول تلك الخدمات، أو يسهم في نصيب منها"²، هذا التناظر بين القطبين (المدينة/ الريف) تحاول الرواية الوقوف عنده من خلال رصدها لأبعاد هذا التصادم والأسباب الحقيقية الكامنة وراءه.

حاولت الرواية بسط هيمنتها على المدينة فقد فرضت حضورها على المدينة، كما فرضته على الأدب والفن بوجه عام، وكما فرضته على غيرها وإذا كان الحضور العالم المدينة قد ازداد جلاءً، وربما ازداد ثقلاً أيضاً خلال هذا القرن وخلال القرن الماضي، فإنه كان فاعلاً أيضاً على مستويات متباينة³.

فهناك بعض الروايات التي عبرت يصدق عما كان يجري في المدينة بوصفها وعالم ثقافياً قادراً على احتواء كل الأفكار، و بعضها مارست فكرة إقصاء الآخر القادم من الريف واصفة إياه بأبشع صفات الخلف وعدم القابلية للتمدن.

وقد تطرح علاقة المدينة بالرواية من عدة جوانب فقد تأثرت المدينة على مستوى ما بصعود الرواية وازدهارها وانتشارها عين جمهور واسع وتحولها إلى جزء راسخ من الوعي

¹ رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، ص 15.

² محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1989م، ص 143.

³ حسين حمودة، الرواية والمدينة، نماذج من كتاب الستينات في مصر، ص 23.

الفني، فكان للجماليات الروائية أثر كبير في صياغة بعض التقنيات المعمارية لبعض المدن المعاصرة إذ بدأت النظرية المعمارية التحتية لمثل تقنيات السرد الروائي وتحاول أن مسارات الناس الفيزيائية المباني حكايات أو قصص فعلية، ممرات دينامية وبرامج سردية، يقترض بين هؤلاء الناس خلال حركتهم الجسدية بهذه المباني أن ينجزوها ويكملوها ويمنحوها دلالاتها".¹

فاستفادت المدينة من تلك الجماليات القضائية والمكانية، فقد حاكى المهندسون بعض الأنماط البنائية التي طرحتها الرواية، واعتبروها قابلة للتحقيق.

فالروائي حين يكتب، لابد من أن يأخذ في حسبانها بعض المعارف الأخرى كون أن الروائيين يتعلمون من المهندس المعماري شيئاً مهماً، فمشاكله الجمالية مرتبطة بالمشاكل الوظيفية لمعمارهم بطريقة تجعل إنجازها النهائي درامياً²، فكل مبدع ينسج نصه لابد أن يكون قد اطلع على أسرار نتاج ذلك العمران، والفضاءات، ويحاول هو جاهداً تقديمها في حلة جمالية مقارنة للواقع.

بعد أن تم عرض بعض التصورات حول علاقة المدينة بالرواية وجدنا أن بعض الآراء تذهب إلى ربط نشأة المدينة وظهور الرواية بديلاً يعبر عن أحلام وآمال الطبقة البورجوازية وبالتالي كانت الرواية أقرب التطورات المجتمع الجديد.

وقد يلاحظ الدارس أن المدينة لم توظف بشكل كبير، وإنما كانت توظف مقابلاً للريف أو القرية، يحاول الكاتب من خلالها إجراء بعض المقارنات بين هذين الفضاءين وإن انحاز إلى فضاء على حساب الآخر، وبالتالي كانت المدينة فضاء معبراً عن بعض الجزئيات المعاشة.

¹ حسين حمودة، الرواية والمدينة، نماذج من كتاب الستينات في مصر، ص 23.

² المرجع نفسه، ص 23.

توظف المدينة في الرواية بوجهين، وجها سلبيًا "تفقد فيه صفاءها الروحي وتوثق نفسها بدنس المادة، تجعل الشخص يحن إلى النقاوة ويحاول العودة إلى الطبيعة باعتبارها المكان الأمثل والرحم الأنقى".¹

وتناقضاتهما فهذا التوظيف يسعى إلى تعرية عيوب المدينة وكشف كل صورها السلبية فنجد نوعا من الاغتراب المكان الذي يمارس هذا مع الشخصية والقضاء الذي يعيش فيه فقد نجد توظيف المدينة بالإيجاب، حين يصورها المبدع قضاء حرا نلتقي فيه جميع الثقافات تتعايش في إطار يسوده التسامح و المنفعة العامة.

وكثيرا ما تسيطر المدينة على الأبطال داخل الرواية، فهي بحسب تركيبها وتشكيلها والتصاق حياتها وتفارق ساكنها وتجانبهم واختلافهم تشكل مرجعية في العمل الروائي فيقيد الروائي عنه أو يقترب منه لكن عينه عليه في النهاية².

وتؤدي المدينة دورا مهما في إعطاء المكان بعدا جماليا فهي من حيث تبيانها في الكثافة والخصائص، يفضل اتساع أفقها وتوفرها على أماكن ومؤسسات مدنية لا تتوفر عليها القرية ترتبط بوجود السلطة والدولة، كالسجن ومخافر الشرطة ومؤسسات التعليم العالي، والحدائق العامة والمتاحف، وما من شك أن جماليات هذه الأماكن ترتبط بالمدينة³.

ورغم هذه الجماليات التي توفرها قيمة المدينة، إلا أنها في النصوص الروائية المعاصرة كثيرا ما ترمز إلى نوع من الضياع والاغتراب الانتماء، فتجد الشخصية تحن إلى الريف وإن كان ضربيا من الحنين إلى الوطن، يحمل معاني الضيق وعدم الارتياح في المدينة فيهرب إلى قريته بسماحتها الإنسانية- ولو في الجبال- وتظل القرية واحة يقيء إليها من الوهج والهجير الفحل المدني حن ولو كانت حياة القرية بطيئة الايقاع⁴.

¹ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية البحار، الدقل، المرفأ البعيد)، ص 97.

² عبد الحميد المحادين، جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص 103.

³ هنية جوادي، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، السنة الجامعية 2012/2013، ص 87.

⁴ مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والأدب، الكويت، أبريل 1995م، ص 87.

وتؤدي المدن تورا دلاليا في بناء الرواية، فهي على حد تعبير عبد الرحمان منيف "كالبشر فلكي تقوم العلاقة مع المدينة، أي مدينة يجب أن يحس الإنسان في المدينة بالألفة وبالحب، وهذا يتولد نتيجة الإحساس بأن هذه المرتبة تعني له شيئا خاصا ولا يمكن أن تستبدل بأي مدينة أخرى، وهذا ما يعطي للمدينة طعمها ولامحها".¹

وهذا الأمر مرتبط بما تحققه المدينة للبطل أو الشخصية من ظروف مواتية للعيش بعيدا عن كل التناقضات التي يمكن أن تقيد الحياة، ويشعر فيها البطل بالاغتراب والبعد عن الواقع وتطل سطوة الماضي هم يحمله في كل يوم يعيشه، فكثيرا ما تكون المدينة في هذا النوع من الروايات رمزا للوطن الذي يفرض حضوره في قلب ووجدان كل شخص " والمدينة حين تكون رمزا للوطن -ولابد انها كذلك- فإن هذا من دواعي القول بها بل الإيمان بها إيمان مطلقا وغالبا ما تطلعنا لقطة مدينة مرادفة للكلمة وطن أو البلاد".²

بعد هذا العرض في توظيف المدينة في الرواية تجد بعض التعدد والتباين أي معادلا رمزيا وصورة مصغرة للوطن "من ناحية اختلاف المنظور الذي يتم من خلاله تناول عالم المدينة من حيث كونها عالما بعيدا يشار إليه بنوع من الشوق أو الحلم أو الرفض أو السخط أو من حيث كونها قريبا معاشا حاضرا".³

فكما تعبر عن التنوع أو الاختلاف بين الواقع، أو ما ينبغي أن يكون عليه بعبر كذلك عن الحياة الهادئة المعيشة التي يتمنى أن يجدها الشخص.

وقد يتمظهر هذا التعدد والتنوع "من ناحية ثانية بتجارب الشخص الروائية المحورية وحالاتها المختلفة ومستويات وعيها بالمدينة بما يجعلها تراها جحيما أو جنة أرضية، عالما مختارا أو عالما مفروضا بل لما يجعلها ابتداء يرى المدينة أو لا يراها، وإن ظلت محاطة

¹ عبد الرحمان منيف، حول هموم الرواية وهموم الواقع العربي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 155، جانفي 1992، ص 126.

² مختار أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص 81.

³ حسين حمودة، الرواية والمدينة، نماذج من كتاب الستينات في مصر، ص 95.

بحضور المدينة الواضح أو الخفي¹ وذلك عن طريق ما تعرضه المدينة من نمط محدد يستجيب لرؤية الراوي أو السارد.

وقد يفرض الراوي رؤية مهيمنة على عالم الرواية انطلاقاً من درجة الماء الراوي إلى عالم المدينة ومدى تمثله ووعيها، ما يجعل منظوره ثم رصده لهذا العالم الخفي مما بمسحة من الدهشة أو التعليم أو القبول، أو الكيف... إلخ ويصل هذا التنوع من ناحية أخرى باختلاف الأزمنة المرجعية التي ق بضع عليها الرواية أو بغياب هذه الأزمنة وتغييبها، إذا قد يومية زمن مرجع يعينه إلى ملامح بيتها في المدينة²، فالراوي هنا قد يكون جزء من هذه المدينة التي يعبر عنها ويسعى في كل المجالات التي يقدمها إلى مطابقة ما يجري أمام عينه، فباستطاعته بواسطة التخيل واللغة وغيرها من الأدوات أن يحول جزئية بسيطة إلى مجموعة من الأحداث.

ثانياً: المثقف والاعتراب المكاني.

إن دراسة العلاقة بين المثقف والمدينة لها عدة أبعاد فكرية وفنية، فالمدينة لم تعد في ذلك الحيز الجغرافي الذي يحوي مجموعة كبيرة من التعداد السكاني و فقط بل لها عدة دلالات خاصة، إذا ربطناها بالمثقف الذي له وعي أكبر بهذه الدلالات التي نكتشفها من خلال المرحلة التاريخية المدروسة، فالظروف التاريخية لها تأثير كبير في تشكيل هوية المدينة، كما أن على أي باحث يقوم بتحليل أعمال أدبية أيا كان جنسها لا بد له أن يكون على دراية مسبقة بالمرحلة التاريخية التي ينتج فيها العمل³، كونها تكشف عن كثير من الحقائق، سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو حتى الثقافي والأمني، وهو ما يؤثر على المكان وصورته بشكل مباشر باعتبار المكان أكثر شيء ملتصق بالإنسان فهو يعني له الأمن والمأوى والاستقرار والثبات، لكن إذا كانت الظروف السياسية والأمنية متوترة، فأكد أن ذلك سيؤثر على هذا المكان، ونظرة المثقف إليه وتأثيره عليه.

¹ حسين حمودة، الرواية والمدينة، نماذج من كتاب الستينات في مصر، ص 95.

² المرجع نفسه، ص 96.

³ صالح سليمان عبد العظيم: سوسيولوجية الرواية السياسية (يوسف العقيد نموذجاً)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998، ص 20.

فالظروف التي عاشتها الجزائر خلال فترة التسعينيات أو ما يسمى بالعشرية السوداء كان لها تأثير كبير على المدينة التي تغير وجهها بالكامل، هذا التغيير الذي كان بمثابة الصدمة التي هزت المثقف الذي لم يستطع استيعاب ما يحدث لها، فوقف عليها وقفة الباكي على الأطلال من خلال استعراض المخلفات والبقايا والأجزاء المتبقية مسترجعا ماض ولى ورواية ذاكرة الماء التي في موضوع الدراسة هي من أهم الروايات التي جسدت عمق مأساة المثقف وأغرابه داخل وطنه الذي تبدو وكأنه ليس جزء منه، وهو الذي حاول ويحاول دائما أن يحميه ويعزز مكانته من خلال موقفه، لكن قبل الولوج في الموضوع وجب أولا الوقوف عند المصطلحية مثقف والاعتراب، وبداية مصطلح مثقف الذي حاول الدارسون وضع مفهوم شامل ومتداول، الذي يرى الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر " بأنه ذلك الإنسان الذي يدرك ويعي المعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العلمية (...) وبين الإيديولوجيا السائدة¹، فالمثقف من خلال هذا التعريف هو الذي يملك درجة من الوعي والحقيقة تمكنه من فهم طبيعة مجمعة، وقيمه مختلف التناقضات الموجودة فيه وبالتالي كان المثقف هو الشخص الذي يثير القضايا التي تقطع كل أنواع الاجتماعي والضغط السياسي² والتي من خلالها يعبر عن آراءه وعواقبه وما يجري حوله فهو المنقح والعقلاني في التفكير والحوار الإنساني الخصب البعد عن عصبية الرأي وأحادية الموقف³ لذلك نجد أن له صوت مسموع من طرف المجتمع، فهو يمثل الطبقة الواعية، وهو لا يناسب مصالح الكثيرين بخاصة السلطة التي نظرت وتتنظر له دائما على أنه مصدر خطر، لذلك وجدناه يعاني التهميش والاضطهاد التي ولدت حالة الاعتراب لديه، وهي سمة من السمات التي وقفت عندها الرواية الحديثة فقد جمع المعاصرين مجموعة من المتناقضات التي نتج عنها أزمت مختلفة سياسية واجتماعية وفكرية وأخلاقية أدت إلى حدوث صدمة هزت المبدع العربي،

¹ جان بول سارتر : دفاع عن المثقفين، تر: جورج طرابلسي، منشورات دار الأدب، بيروت، ط1، 1973، ص 33.

² ينظر: أمال مالي، المثقف والسلطة، قراءة في رواية المستنقع ... التحقيق بجناح واحدة لمحسن بن هنية (عيون جزائرية على تجربة تونسية)، دار الأمان الأربعة، الجزائر، 2010، ص 08.

³ عبد الحميد هيمة، المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية (قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية الجديدة، مجلة العلوم الانسانية)، ع 29، بسكرة، 2013، ص 32.

وكان تأثيرها البالغ عليه، فعكست التجربة الأدبية ألوانا من الشك والقلق المسيطر على الانسان كما عكست صورا من انعدام الثقة لدى المبدع في واقعه¹، الذي عرف تحولات كبيرة، أدت إلى تغيير موافقه لإزاء هذه التحولات الخطيرة، من أبرزها ما عانى منه المثقف في هذا العالم الفاقد لقيمه هي ظاهرة الاغتراب التي جابت نتيجة " الإكراهات شتى تتمثل في القمع التاريخي والسياسي والأخلاقي والتربوي والاقتصادي²، هذه الإكراهات انعكست ابعادها على مختلف مناحي الوجود الاجتماعي والثقافي الإنسان المثقف.

فحالة القمع التي عاشتها الجزائر خلال العشرية السوداء كان لها وقعها الخاص على نفسية المثقف الذي هو جزء من مجتمع عرف كل أنواع الاضطهاد والقمع فكانت النتيجة هي مثقف مغترب داخل وطنه وداخل مدينته التي احتوت كل هذه الأحداث، فوظفت بشكل متميز داخل رواية ذاكرة الماء العكس أحاسيس الشخصيات ووجهة نظرها الفكرية والأيديولوجيا، فالمدينة في الإطار المكاني التي جرت فيه أحداث الرواية، كما أنها تمثل المفارقة بين الماضي والحاضر، بين الأمن ولا أمن، فكل زاوية فيها تحيل إلى ماض جميل ذهب ولن يعود، وحاضر مرير مفروض بالقوة وقف المثقف إزاءه عاجزا، بانسا، مكية، وهو الذي كان لا يعرف حدودا يقف عندها لذلك يقول "إذا خرجت أو انحدرت باتجاه المدينة ستكون غوايات الشارع قد قادتني نحو الموت³، فكل زاوية من هذه المدينة أضحت مصدرا للخوف والهلع الذي هو الهاجس الذي سكن الأنفس والعقول، حتى أن حركة المثقف وسكونه مرتبطة بهذا الهاجس فقد أصر طريق المدينة بمزرعة، عندما يصير طريقا يؤدي الى الموت الى القاع أقول أحيانا لصديقتي فاطمة التي يملأني خوفها على، بين بيتك والمدينة ظلال وخوف وهوة سحيقة ومدينة تنزف⁴، اليوم الذي يأتي أسوأ من قبله، ليلها كنهارها، سواد في

¹ حماد حسن أبو شاويش، ابراهيم عبد الرزق عودة الاغتراب في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا ابراهيم جبرا، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسة الدراسات الاسلامية)، مج 14، ع2، 2006، ص 122.

² علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، (مجلة عالم الفكر)، المجلس للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 07، ديسمبر 1972، ص 242.

³ واسيني الأعرج: ذاكرة الماء (محنة الجنون العاري)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص 12.

⁴ الرواية، ص 297.

سواد وهدوء لا يبعث في ساكنيها إلا الوحشة والغربة والخوف من سقوط ضحايا جدد، قد يكون صديق أو قريب أو حبيب أو حتى عدو، المهم أنه إنسان له روح، له قلب يحس يتألم يتعذب، فكيف لا يرثها المثقف وينكي حاليا الذي ينتقل من سيء إلى أسوء، وهي التي كانت قبل زمن ليس ببعيد مصدرا للفرح والسعادة، مصدرا للأمل والحياة والأحلام الوردية مصدرا للروائح العطرة والأسواق الزاهية والضحكات العالية، كانت ببساطة تعني الحياة والحرية، حياة التصقت بذهن المثقف يعيشها بكل تفاصيلها بذاكرته المرققة ويرجع إليها ليشعر بأنه في واقع مختلف وغريب عن أصله منذ أن اغتيل صديقي يوسف فنان هذه المدينة وشاعرها، أصبحت لا أنام بشكل جيد أشعر برخية محمومة للعودة نحو الأعماق نحو الطفولات الضائعة، نحو الحير الأول وتحوير رائحته ولونه البنفسجي (...)¹، حياة أصبحت مجرد حلم متشبث بالذاكرة الماضية والمستحضرة قرنوا مفقودا بالنسبة للبطل يأنس بها ويحن إليها.

فجميع الأمكنة التي يتذكرها البطل كان جزء منها وكانت جزء منه، فهي تمثل الهوية الحقيقية و الأصلية للمدينة، كما أنها تمثل التاريخ والذاكرة، ولهذا فهي لم توظف بشكل عشوائي داخل النص الروائي، بل بشكل مقصود ومحد حتى تسهم في خلق معنى داخل الرواية²، لذلك فإن نذكرها يحيل بالضرورة إلى واقع متناقض، مهترئ بفعل عوامل متعددة نكتشفه من خلال وصف البطل الشوارع المدينة الهادئة والمتعفنة ووقوفه على مبانيها المهترئة والمنسية وبعاءه على معالمها المشوهة والمدنسة وتذكره لمآسي قبله من المثقفين من أمثال "جونى فنان هذه المدينة التي لطالما أحبها وأسمعها ألقانه عند ضوء كل فجر، فماذا أعلته هذه المدينة غير الشكر وتحطيم أحلامه وروحه المرححة وفي الأخير تركها وتبرأ منها كما تركته، فضل المغادرة والبحث عن مستقبله يدل البقاء وانتظار ابتلاعها إياه، لذلك يقول: عما يناقش في هذه البلاد لقد حر فرصتها عرفت كبار الفنانين ثم رمتهم في دهاليز

¹ الرواية، ذاكرة الماء، ص 15.

² إبراهيم عباس، الرواية المغربية (شكل النص الروائي في ضوء البعد الأيديولوجيا)، دار رائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005م، ص 222.

الموت¹ وما يؤكد هذه الحقيقة مأساة الفنان يوسف التي لم تتذكره مدينته إلا عندما أصبح جسدا باردا داخل التراب ورقما يضاف إلى سجل الموت الهجي، فأين إنسانية الإنسان وأين مشاعره عندما يصبح هذا الإنسان مجرد رقم، تمر عليه دون أن تستيقظ إنسانيتنا، دون أن تتحرك أو حتى نقاوم ما يجري في هذه المدينة التي تفاجئ ساكنيها كل يوم بسكين حادة وضحايا جدد.

مدينة لم يبق منها إلا اسمها الذي هو الآخر شود باسم حملات التهذيب الذي شملت كل شيء فيها فصارت البلدية بلدية إسلامية والسوق سوق إسلامية، ومراحيض المدينة المراحيض الإسلامية (...). حتى مقهى اللوتس في علامة هذه المدينة منذ زمن بعيد حول إلى محل لبيع الستائر الإسلامية المستوردة من التايوان (...)²، هكذا استعرض المثقف مدينته التي يشعر بحزن عميق وهو يراها كل يوم بوجه جديد لم يألفه، بهوايات مصطنعة ليس الهدف منها سوى التستر على مصالح أشخاص محددين لهم أهدافهم التي يعرفها الجميع باسم شعارات مختلفة.

لذلك لا يمكن أن تكون المدينة مدينة إسلامية معترف بها لدى المثقف لمجرد وضع عناوين لها، فهي ليست هوية المدينة الحقيقية بل مجرد معطي جاهز وطاريا ومزيف لم يزد المدينة إلا وحشة وغربة وتتكرا في تقسية المثقف وهذا ما يؤكد أن تغيير الزمن فعل فعلته على هذا المكان الذي حوله من حال إلى حال، كما فعل فعلته على نفسية المثقف الذي وقف يائسا من هذا الوضع يبكيه بحرقه ومرارة؛ كيف لا وكل يوم في هذه المدينة يعني رجوعا إلى العصور السابقة، بل القرون الماضية أين يسود الظلام والتخلف والعصبية كيف لا وهوية المدينة الحقيقية تضيع وتغوص في الأعماق في كل يوم يعلق متحف فيها أو ينهب مال مخصص لترميم قصورها أو تمل معالمها حتى تصبح مركزا للقاذورات وصرف المياه، هذا ما فعله الزمن بهذه المدينة، بل هذا ما فعله الهويات المصطنعة والمؤدلجة بهذه المدينة وهذا يؤكد أن الهوية كيت كيانا يعطى دفعة واحدة إلى الأبد، إنها حقيقة تولد وتنمو،

¹ الرواية، ذاكرة الماء، ص 19.

² الرواية، ص 60.

وتتكون وتتغير وتشيح وتعاني من الأزمات الوجودية والاستيلا¹، كل ذلك انعكس على المدينة وغير من صورتها فأصبح المثقف يعيش فيها وفي نفسه، لاوجود إلا لصورة مشوهة ينظر إليها بعين دمة وقلب منكسر في وحدة وعزية موحشة، وكأنه ليس جزءا منها وليست جزءا منه لذلك يقول: "أحزن عندما أكشف بقي متمرسا، متتكرا داخل زاوية لا أعرقها، ولا أتذكر أني عبرتها ذات يوم، أحزن لأن بلادي التي في قلبي ومرهقاتي الأولى تتخلى عني دفعة واحدة،² فالمدينة التي يحفظها وتحافظه، يعبرها كل يوم نحو وجهات مختلفة، فجأة تتنكر له وتغير من وجهها، لتصبح مدينة لا يعرفها ولا تعرفه، مدينة مجهولة المعالم تنفيذه دون سابق انذار وكأنه خانها، فوجد نفسه وحيدا منعزلا غريبا داخلها وبين أصدقائه الذين يمر عليهم بوجه متنكر خوفا من نوايا الشوارع التي تخفي الكثير من المفاجآت، خاصة وأنه يعلم أن كل زاوية تترصده أعين، وكأن هذه المدينة تتضامن معهم ضده، فكل مكان يقصده يكون ضحية الممارسات التعسفية.

وكمثال على ذلك الموقف الذي تعرض له البطل وزوجته في المطعم، فلمجرد جلوسهما دون أوراق تثبت زواجهما عرضه لمشاكل عديدة، وذلك يقول: "عرفت من وجوههم وحياتهم أنهم مجموعات لا وظيفة لها سوى تصيد الناس الذين يبنون بشوشين على غير العادة خصوصا إذا كان المجتمعان رجل وامرأة³ وهو ما ضيق عليه وزاد من غربته وعزلته فالكل نبذه وجعله سببا في الخراب والدمار الذي وصلت إليه البلاد، مواء المجتمع الذي لطالما احتقره وحمله مسؤولية ما يحدث الله لا يردهم، الشيوعيون أفسدوا البلاد والجامعة⁴، هي نتيجة التلاعب بالخطابات وتشر الإشاعات المدروسة من طرف السلطة الدينية والسياسية التي اتخذته عدوا لدودا لها فلا تفتحه وحرите وميوله وأراءه تناسب أفكارها التي تسعى جاهدة إلى نشرها في المجتمع بل بالعكس، فذلك يمثل عائق أمامها فهي تسعى دائما

¹ أليكس ميكشلي، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993م، ص 07.

² الرواية: ص 336.

³ الرواية، ص 40.

⁴ الرواية، ص 41.

إلى غلق بوابة التفكير وتضييقها، حتى يسود الجيل ليعم ويسهل ذلك الاقتناع والتأثير لذلك فأول ما سعت إليه هذه الجماعة هو تنشر الخطابات التحريضية ضده للقضاء على آخر أمل يمثل النور والحقيقة وهذه التصفية هي من أقصى التصفيات وأرعبها، حيث تجعل الضحية متهما أمام جمهوره وقرائه، حتى أن محاولة التحاور معهم أو تصحيح أفكارهم في مهمة شبه مستحيلة، فحين يسود الظلام والجهل ويتعلق العقل على مجرد بيانات موضوعة تمثل الدين الصحيح وحيث يباح القتل وسفك الدماء فهذه هي الجاهلية تعود من جديد بعصبية جديدة هو الدين المتطرف، البعيد تماما عن دين الحق الذي هو بريء من هذه الممارسات وما يؤكد ذلك الحديث مع سائق الأجرة الذي يمثل الجماعة وأسلوب تفكيرها المتعلق، فقد أخرج ابنته من مدرسة الكفر كما قال، وحجب الصغرى ورفض الإصغاء إلى أغنية فيروز لها مسيحية، كما أنه ينشر ما أنجزته الجماعة ويتحدث عن معجزات قادتها هذا المستوى من التفكير هو الذي أوصل البلاد إلى شكلها المتهالك الذي يؤكد البطل أنه السبب في سفك الدماء دون شعور بالذنب وتأنيب الضمير.

كما أن غياب دور السلطة السياسية وعدم فعاليتها هو ما يجعل القائل يتقن في ذبح ضحيته، فلا وجود لمحاسب أو معاقب، الجريمة ترتكب اليوم وتتسى غدا بجريمة أبعث منها.

وبذلك فالسلطة السياسية أيضا ليست بريئة مما يجري بل متواطئة، ولها مصالح مشتركة مع هؤلاء القتلة، وإلا كيف تباد معالم المدينة بهذا الشكل الهلجي وبهذه السرعة وسادة الأمر والنهي لا يعلمون".¹

فالمصالح هي وراء كل ما يحدث لهذه المدينة التي لم يعد البطل يحتمل رؤيتها وشي تنهاوى وتشيح يوما بعد يوم أمام عينيه: "فلا تقلص الزمن وانكسر وصار قصيرا أمام الحياة، التي بعد أن كانت حلما لم تعد مشروع عزت مؤجل ينتظرنا في كل زاوية داخل هذه المدينة²، العاجزة عن حماية نفسها فكيف ستحمي ساكنيها لذلك كان تتكر البطل ضرورة

¹ الرواية: ص 76.

² الرواية: ص 245.

الفصل الثاني **تمظهرات رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج**

ملحة "فالإحساس الذي يكتنف الذات الجزائرية فور احساس منقع بالخطر الدائم الذي لا يبقى ولا يذر، الأمر الذي يشحن النص الروائي بالتوترات النفسية الحادة التي تتلمس مواطن الضعف واليأس في ربط أجزاء الحدث...¹ بات والتكرر هو من أهم تمظهرات الاغتراب التي تبرز علاقة الانتماء والاحتواء بين المكان والشخصية لأنه يدل على وجود خطر دائم يسعى البطل إلى تجنبه فيقول: كنت قد تنكرت بظاهرتين وقد قصصت شعري قليلا بمساعدة فاطمة، بعدما حنيتها قليلا قبل النوم، ووضعت بريطة إسبانية على رأسي وعصا صغيرة في يدي، لم يبق شيء مهم مني".²

نجد تنكر البطل بخاصة عندما يضطر إلى الذهاب إلى الأماكن المفتوحة وسيما الشوارع والطرق، فتجده يسعى إلى الاختلاط بالآخرين حتى يصبح جزءا منهم كما أنه يتحاشى الوقوف أو الكلام معهم، لأن الأماكن المفتوحة في أماكن مراقبة، حرية الشخص تنتهي الشخص؛ لتنتهي فيها لأنها تتقاطع مع حرية الآخرين، كما أنها مفتوحة على الاغتيالات والجرائم السهلة وسرعة التحرك وكثرة الممرات والمخارج لذلك كانت علاقة المساكن بالمسكن هي علاقة تناقض فرغم التفاح هذه الشوارع الا انها تضيق دلالتها رمزيا في نفسية البطل، فأغلب الاعتداءات تقع في هذه الأماكن، وهي حقيقة يدركها البطل فكانت سببا من الأسباب التي تعود الى العزلة والانطواء، فكان البحر مثلا هو الملاذ الذي يلجأ ويهرب إليه البطل لينسى قساوة هذه المدينة ويتناسى حزنه وكابته وغريته التي تعصره من الداخل وتتكبد عليه كل مناسبة سعيدة فالبحر يشعره بحالة استثناس وصفاء وهو شعور لطالما افتقده في مدينة تنكرت له وتجاهلته ورتته في دهاليزها الضيقة التي ابتلعت حريته وموهبته فقد أتاها عاشقا فأردته قتيلا، جاهها مفعما بالأمل والحرية فاحتضنته بسجنها الضيق السحيق فكان البحر آخر ملجأ البحر كمكان مفتوح ومكان لامنتاه يحمل المغامرة

¹ جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد (التجربة والأمل)، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ط1، 2005م، ص 224.

² الرواية، ص 218.

الفصل الثاني مظهرات رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج

والحرية والانطلاق والإفلات من سطوة السلطة¹، التي قيدته لذلك يقول: "سأجن وسأفعلها ذات يوم وأعبر هذا البحر حافي القلب والذاكرة دون أي ادعاء سوى برغبة العاشق وجنونه (...). عاشق لم يحب لونا آخر سوى لون البحر²، فالزرقة تساعد البطل على الراحة وتكثف احساسه بالحياة وضرورة الصراع من أجل البقاء فلا شيء سوى البحر الذي يفتح عينيه بتناقل، برفض أن تسحب منه تفاصيل نومه (...). مع ذلك يظل اللون الوحيد الذي يربطنا بالحياة داخل هذا الرماد³ الا وهو إصرار على الحياة والتمسك بها، مهما كانت الأضرار، فإذا لم يوجد محب للحياة لن يبقى هناك فسحة للأمل والاستمرار كما مثل البحر الأب الكبير الذي يحوي أبناء⁴، تحمل معناه المثقف وخفف عنه وحدته وغرخته فالزمن كفيل بإصلاح ما هدم ودمر، لأن البحر لم يكسب هذه المكانة ولم تكن له هذه القيمة لو لم يحوي أخبار تحمل ثقلها على مر الزمن.

فالزمن لا يتوقف عند فترة تاريخية، فكما كان في مرحلة مسابقة مصدرا للفرح والسعادة ولم يتوقف عند تلك الفترة فالأكيد أنه لن يتوقف عند هذه المرطة الحرجة من تاريخ الجزائر التي هي اليوم تروى فقط لحبر على ورق جسدت في رواية ذاكرة الماء لتؤكد أن الكتابة هي أيضا ملجأ لجأ إليه البطل للتخفيف عن همومه فالذي يبقى بينه وبين الموت مسافة أصبع أو كأس قهوة صباحية، لا يتمني شيئاً خاصاً وهو يموت سوى قول ما كان يمكن قوله، مهما كان الثمن غالياً، سيحصر كثيراً عن الكلمات التي بقيت في حلقة مثل السدادة⁵، فالكتابة في السلاح الوحيد المواجهة كل المسلطات، لذلك كانت علاقته مع السلطة دائماً متوترة، فهو الشخص الوحيد عقدها الذي لا يحق له أن يفكر، وإذا فكر فعليه ألا يقول، وإذا قال فعليه ألا يكتب، وإذا كتب فقمه حلال⁶، ومع ذلك كتب: "يجب أن تكتب

¹ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 172.

² الرواية، ص 138.

³ الرواية، ص 248.

⁴ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص 175.

⁵ الرواية، ص 254.

⁶ عدنان الصائغ، القراءة والتماهوك يليه المثقف والاعتقال، ص 400.

لكي تجعل من جنوننا أمرا ممكنا خارج أجسادنا التي لم تعد قادرة على تحمل كل هذه القساوة، حتى لا نجن حقيقة ولا نتحر، وتجعل من الحياة التي هي مجرد احتمال في هذه المدينة أمرا ممكنا".¹

ثالثا: المدينة بين الهوية والأيدولوجيا.

يشكل رثاء المدينة في رواية ذاكرة الماء حضورا قويا إلى جانب علاقته بمفهوم الهوية الضائعة، والتي أسهمت الأيدولوجيا المتصارعة في تشتتها وشبابها بين مجموعة من الاتجاهات، هذا القلق انعكس على نفسية قاطني هذه المدينة مما يجعلهم أمام مجموعة من الأسئلة التي لا تملك أجوبة.

مفهوم المرية يرتبط بالآنا ارتباطا وثيقا، كما يتحدد ويتلازم مفهوم الآخر، إذ تبلور مفهوم الهوية نتيجة ارتباطه بالتاريخ "فالتصور التاريخي للهوية يرى أنها مكسب يتم تعديله باستمرار وماهيته ليست ثنائية، أي أن الهوية قابلة للتحول والتطور، ذلك أن تاريخ كل شعب هو تاريخ يتجدد ومليء بالأحداث والتجارب، فإن الهوية الأصلية تتغير باستمرار وتكتسب سمات جديدة وهذا يعني أن الهوية شيء ديناميكي وهو سلسلة متتابعة، كما أنها تتحول مع الزمن فهي ديناميكية ترتبط بالأثر الذي تركه الحضارة عبر التاريخ²، فالهوية إذا تأتي كنتيجة حتمية لمجموعة من التراكمات التاريخية، وهذه التراكمات تسهم المرجعية التي تتبناها الجماعة في تغذيتها وتشكيل جوهرها.

فمثلا يكون الذين سببا مهما في تشكيل الهوية العربية باعتباره انعكاس خيالي في رؤوس الناس لتلك القوى الخارجية التي تتحكم في وجودهم اليومي، وهو انعكاس تأخذ فيه القوى الأرضية شكل قوي فوق - أرضية³، فإذا أخذ بعين الاعتبار الدين مشكل رئيسي

¹ الرواية، ص 295.

² حميد الصغير: الهوية والغيرية في رواية الأمير لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014م، ص 17.

³ ياسين بوعل: الثالث المحرم، - دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1978م، ص 11.

الطبيعة الفرد الجزائري في الزمن المحايد للرواية فإن هذا ما يعكس على توجهه ونشاطاته وطبيعة فيه للأمور التي تحدث أمامه.

لكن الذين باعتباره مرجعية مهمة في تشكيل الهوية، نجده يشكل مغاير في الرواية موضوع الدراسة، فهو سبب البلاء والاعتراب الذي حل بالقرى داخل المدينة وانحراف الدين في معناه الحقيقي هو نتيجة سعي مجموعة محددة إلى بسط شرائعه بالقوة والعنف فمن غير المعقول أن نباد معالم المدينة بهذا الشكل الهمجي، وبهذه السرعة، وسادة الأمر والنهي لا يعلمون، المدينة بدأت تزحف نحو الانقراض ليحل محلها ريف بدون عقل ولا تاريخ ولا ذاكرة سوى الجفاف والرمل ثم الرمل وحده الذي حول ساحة الشهداء والشوارع إلى ممرات البيع سلع التهريب المقنن الأتية من كل أطراف الدنيا¹، فالمدينة قد بلغت أقصى درجات انحدارها بسبب محاولات هؤلاء الأوصياء الجدد طمسها بتعاليمهم الخاطئة والمنافية للعقل، هذا الأمر الذي ترك حطاما في تقنية البطل وجعله يعيش في عالم مليء بالحزن والقلق والضياع والشعور بنوع من الانفصام عن المكان.

"بناياتها الشاهقة، خضرتها، أسقفها القرميدية، رافعاتها الصدئة والصفراء، ونزلها الجديدة الأجنبية التي فتحت أبوابها ثم بدأت تغلقها الواحدة بعد الأخرى من جراء التهديدات بالتفجير، ها هي ذي المدينة التي تمكي حي القلب تستيقظ بشكل غريب مثل طفل صغير حلم كثيرا وعندما فتح عينيه وجد كل محيط العقود واقف قدام رأسه، ها هي ذي مدينتي التي بدأت تتحصر بدون سابق انذار²، فهذا الخراب الذي حل بها جعلها أطلالا يفرد لها البطل أوصافا خاصة، وكأنه يقارن بين زمين، زمن يحمله في نفسه، براه مثل الطم، وواقع استيقظ فوجده مرابا وسنيما ، فالمدينة في هذا الموضع لم تعد مجرد علامات على المكان الحسي بمرجعية الفزيائية بل انها تسجل حضورها الدلالي في النص الروائي لتقمص دور البطولة،

¹ الرواية، ص 70.

² الرواية، ص 158.

وتتخذ أشكالاً متعددة تفتحها على آفاق تشكيل الفكرة في النص¹ وبهذا تتعلق أزمة الهوية المفقودة والضائعة مع خطاب الأزمة الذي يغذيه العنف والتطرف مما يولد في البطل حزناً شديداً يجعله دائم الاستذكار للزمن الماضي الذي كان يبعث في نفسه الأمل والتطلع كانت المدينة التي فتحت فيها عيني تبعد عن قريتي المنسية قليلاً، المدينة التي تفضي منها العائلة كل حوائجها، تتسوق، تدخل حماماتها التركية مرة في الشهر، وأنا كنت أدخلها كلما كان ذلك ممكناً وحيداً أو مع عائلتي، الرائحة التي أتذكرها الآن، رائحة حماماتها الكثيرة، ورائحة بنزين السيارات التي كنا تركيها، وعصي عبد الكريم سائق الطاكسي الذي تحول إلى حطبة يابسة ولم يغير من عاداته²، فبالرغم من تغير الزمن بقي البطل يحن لتلك الأيام الجميلة، حتى رائحة البنزين ظلت عالقة بحواسه فالمفروض كان يدل على تغير الحال على ما كان عليه سابقاً كما يدل على رسوخ الرثاء لذا المنقف تجاه مدينته، وجعله يتذكرها كما كانت عليه من روعة وصمود وما كانت عليه من تقاليد وعراقة افتقدها في زمنه الحاضر، وهذا ما يذكر ببكاء الأطلال في الشعر الجاهلي حيث كانوا هؤلاء يتقنون في دقة وصف كل الذكريات الجميلة التي عاشوها في زمن معين لكنهم اوقفوها، فالمكان هذا يبدو ذو بعد تقسي عميق يصعب نسيانه رغم تغيره وتبدله.

بل يتمادى البطل في وصف المكان كما كان قيل تحوله "كعادتي دائماً عندما أزور الحمام مع أمي، أهرب باتجاه الموليمة التي تورثني سعادة داخلية غريبة، امرأة عالية ومذهلة يجسد مصقول بدقة متناهية وساقين عاريتين عملتين وصدر مندفع إلى الأمام بنهدين نافرين باتجاه سماء فاترة، امرأة من رخام أبيض صافي كلما هبت الرياح الصحراوية القادمة من محيط المدينة، اصفر لونها بسرعة، لكن بمجرد سقوط الأمطار يصير التمثال من جديد أبيض، أبيض مثل القطن³، لكن هذا الإرث الثقافي الذي يحتفي به البطل تعرض لطمس

¹ فريدة إبراهيم بن موسى: زمن المحنة في سرد الكتابة الجزائرية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012م، ص 154-155.

² الرواية، ص ص 154-155.

³ الرواية، ص ص 155-156.

مخيف بحجة ترك ثقافة الآخر والعودة إلى عناية الأصل، ففي أول عيد استقلال للجزائر حولت كنيسة إلى مسجد مع بعض التحسينات التي دخلت عليها وقام رئيس البلدية بكر التمثال "الموليم" بحجة تخريب عقول الأطفال وبالتالي حاول هذا الوريث الجديد للثورة تحويل المعتقدات إلى هويات، وتحولت الانتماءات والارتباطات إلى هوية الفردية، وذلك تحت راية الديمقراطية¹، فالدولة أو المرجعية السياسية حاولت امتطاء ذريعة الذين من أجل اقناع البسطاء من الناس بمشروعية ما قامت به، لكن هذا الفعل نتج عنه في حقيقة الأمر بعد ذلك بروز التطرف الذي أوجد لنفسه مشروعية أخرى نتيجة تجاهل أصحاب القرار لما كان يضمه هؤلاء.

فدخل الوطن بعدها في أزمة خانقة ازداد معها المثقف اغترابا، وضاعت المدينة جرائها ضياعا كبيرا: " أنا أتساءل إذا كانت هنالك قوانين في هذه البلاد"²، فمن يمثل القوانين هي السلطة الحاكمة، غير أن زمن المحنة أوجد مجموعة من السلط الموازية التي زادت من بكاء المثقف وشقائه وحزنه على أعلى ما يملك فيعد ضياع المدينة، ضاعت معها عدة أمور أخرى" أعرف جيدا أن اليد التي نقلتني لن تكون إلا بيد واحدة من هؤلاء المنسيين الذين أدافع عنهم، بينما يتلدد القاتل الحقيق بالمشي من وراء زجاجا مسجده الخاص"³، فهذا القتل الهمجي الذي يسخره بعض الشواء عن الدين، في تقوس بعض المظلومين يجد صدى كبيرا الذي هذه الفئة التي تحس بالظلم والقهر، وبالتالي تجعلهم مجرد بياق على رقعة شطرنج يتحكمون فيها دون مقاومة تذكر من قبل هذه القة المغلوبة على أمرشابل أكثر من ذلك فهم يوجهونهم نحو فئة بعينها وهي الفئة المثقفة التي تنتظر إلى الأمور بزواوية رؤية مختلفة، ولما لم يتمكن هؤلاء من جرهم إلى حقهم راحوا يتهمونهم بالمروق والخروج عن الدين وذلك ببث شائعات كاذبة ومدروسة والتي تمثل ستار الدخان الذي يحمي الإرهابيين

¹ مارسيل فوشيه: الدين في الديمقراطية، تر: شفيق محسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 13.

² الرواية، ص 65.

³ الرواية، ص 444.

سواء في إقدامهم على الفعل أو في هروبهم بعده، بأقل قدر من الخسائر وبأكبر قدر من تجميد وتحييد الاستتكار الشعبي".¹

وتتجسد هذه الشائعات خصوصا في الشعارات التي يزرعونها في كل مكان وفي استغلالهم للمستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة، فتجد مثلا شخصية "عبد ربه في الرواية أهم مؤيد للفكر المتطرف، وذلك بعدما تحول من معلم يعيط إلى إنسان آخر " فعبد ربه كان معلما بسيطا لم يتخطى عتبة الفقر رغم كل ما يذله، درس في القرية وفي المدينة دون جدوى، ثم ترك الجبهة وترك لحيته تल्ली وصار من يومها لا يهتمه إلا الدولة الإسلامية ويصر أنها الحل الوحيد ضد خونة البلاد وعقمي وحدتها"²، هذا التحول الرهيب جعل المثقف ينتفض الأسى والحزن، فكيف يعقل أن يغير الإنسان حويه مع حبوب أول تيار وكيف يمكن أن تجره مبادئ خاطئة ومبنية على بؤس الآخرين.

وأول ما حاولت هذه المرجعية الجديدة تثبيته هو إبادة معالم المدينة لتحقيق هذه الأهداف المدينة لم تتغير ومع ذلك أشعر أن الكثير من الزوايا فقدت رونقها بسبب الأوساخ المتراكمة عند البوابات والمجاري المفتوحة هنا وهناك بدون أن ينتبه لها أحد، ورائحة العفن التي تحتل المكان الخطوط الجوية الإيطالية صارت مثل الدخان المهجور منذ المسيرات الأخيرة (...). كل شيء تغير في هذه المدينة بسرعة عجيبة لتعود شيئا فشيئا إلى سالف عصرها عندما كان يدخلها الانكشافية الأراك يد قرصنتهم اليومية، يمسحون في طرقهم كل نور في المدينة³، فكما كانت هذه المرطة سيئة في نفوس الجزائريين في حقبة ماضية ها هي تعود اليوم بحلة بؤس جديدة بناها هذه المرة دعاة التطرف، وهذا كله ما زاد من مأساة المنقف واغترابه وحزنه.

لكن المثقف برفض هذه الأمور ويتحدى هذه المرجعية الفاسدة عن طريق وقوفه القوي في وجه قوى التطرف والمرجعية الخاطئة، ولو على حساب الألم الكبير الذي يتجرعه

¹ فرج فودة: الإرهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1992م، ص 26.

² الرواية، ص 87.

³ الرواية، ص 350.

الفاشية الرعوية الدينية ليست فدرا على الإطلاق، قد يتسببون في خراب البلاد، هكذا القتلة دائماً الذين لا قضية لهم إلا التأويل والدم¹.

إلا أن هذه المرجعية الدينية لم تقف في وجه البطل الذي وإن كان يحس بالحزن والأسى تجاه ما حل بمدينة سكنته قبل أن يسكنها وكان يومياً يعاني من فقدانها لهيبتها وجمالها ووقارها، إلا أنه فضل البقاء فيها والتمسك بتربتها رغم الخطر الكبير الذي كان يهدده.

وفي المقابل تعمل المرجعية السياسية التي تمثل النظام على تعميم وطمس المدينة من خلال تخليها عن واجبها، فيفقد المثقف كل أمل في استعادة المدينة لكيانها، فما قلته السلطة السياسية ليس قليلاً في حق المدينة، والمنشق باعتباره عنصراً فعالاً استطاع أن يقرأ في السلطة عطب الوجود فوقف منها موقف الاحتجاج والتشديد إزاء ما تعرض له الأفراد من علم وتعسف²، وهذا ما يتجسد من خلال موقف البطل تجاه ما يحصل لمدينته بسبب تخلي السلطة عنها، وتركها للأخر المتطرف يتحكم فيها كيفما يشاء، دون أن تحرك ساكناً قصار اغترابه أثر بكثير، ف صارت المدينة بين مفترق طرق.

ومما يؤكد طرح مساهمة المرجعية السياسية في تورطها إلى جانب المرجعية الدينية المتطرفة، حيث تتبنى الرواية نقداً لادغا عوجها النظام السياسي القائم باعتباره أحد أبرز وجوه المرجعية السياسية التي أسهمت بشكل أو بآخر في طمس معالم المدينة وجعلها أثر بعد عين؛ أي مجرد أطلال صالحة للبكاء والتأمل والتنكر و"قط" بدأ الإحساس عندي يتأكد اننا في دولة هي الأخرى مخترقة من دولة أخرى³، فهذه الدولة لا وجود لها في ظل دولة موازية فرضها التطرف، وسمحت هي الأخرى في ظهورها، وهذا ما ولد أما شديداً في نفسية المثقف وما عاد يؤمن بأي شيء تقدمه السلطة السياسية، بل أصبح يسخر منها كل شيء

¹ الرواية، ص 127.

² مجموعة مؤلفين: صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية، فرقة بحث معهد الآداب واللغات جامعة الجزائر، العدد 13، ديسمبر، 1995م، ص 150.

³ الرواية، ص 35.

الفصل الثاني مظهرات رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج

ينهار حتى أبسط الخطابات صرنا نشكك فيها، مراجعنا انكسرت ضخمناها حتى صدقنا أنها كل شيء في هذه الدنيا، وها هي الاشتراكية تضحك علينا، ماذا بقي من الاشتراكية؟ من العروبة؟ من الثورة من المستقبل؟ من السعادة؟ من الوطنية؟¹

فهذا الحديث يوحي إلى تقذ موجه للتوجه الذي تبناه النظام السياسي الجزائري بعد الاستقلال، فقد اختار هؤلاء المنهج الاشتراكي التطبيقي اقتصاديا وسياسيا حتى يتمكن الجميع من الحصول على فرص متساوية في العمل والتعلم وغيرها، لكن عوض حنوت العدالة الاجتماعية، حصل نهب الثروات البلاد وانحسار الثروة في أيدي أكلية مما فجر الوضع في نهاية الأمر.

وهذا طبعاً مرده إلى المصالح الذاتية التي غيبت هيمنة المرجعيات الحقيقية التي من المفروض أنها ثابتة لأنها تشكل هوية شعب بكامله، لكنها سرعان من تتسحب عندما يسيطر عليها الانتهازيون.

وتتجه الرواية إلى الماضي القصير هذا الفشل الذريع الذي لقيته الاشتراكية أو المرجعية اليسارية لتصبح أمورا مشكوك فيها" وكان الضباط الوطنيون يتقاسمون غنائم الحرب الفاتنة ويكون بعض النفاق، الذين يتوهم أو تقوهم، أو قلوا أمام أعينهم، لقد تغيرت صورتهم منذ أن دخلوا دروب القرية الضيقة مع فيالقهم جماعات، بألبستهم وجلابيبهم الخشنة، ترمي عليهم نسوة الأحياء الفقيرة السكر والزغاريد الحارة، والملح خوفا من العين القائلة²، فإلخسارة الكبيرة لهذا التوجه الاشتراكي، في الحقيقة يعود للخيانة التي تعرضت لها الثورة منذ أمد بعيد، وهذا ما انعكس سلبا على المدينة التي تحولت بعد الاستقلال إلى ثكنات عسكرية، وسعى أصحاب استغلال الفرص إلى الحصول على تركات المعمرين فشوخوا معالم المدينة مما أحدث صراعا نفسيا كبيرا أكثر على البطل وجعله يتحسر ويتأسف ويرثي لحال المدينة التي لم تسلم من حملات الانتهازيين وأصحاب المصالح الضيقة.

¹ الرواية، ص 119.

² الرواية، ص 225.

كما ولقت الرواية المكان المدينة بطريقة سلبية بسبب تشوه معالمها وطمس هويتها الأساسية، فقد عدت مسرحا لكل ما يرمز للسوء والعنف وأسس لذي البطل خطابا وصقيا ساخرا منه بلاد ميكي هذه، يصادرونك شيء في حقوقك، البلاد الوحيدة في العالم التي يخافون فيها عليك من نفسك؟!،¹ وهذا دليل على الملوك العام الذي حاولت التولة فرضه في مثل هذه الحالات فعوض البحث عن هؤلاء البحث القتل وجدناها تد من حرية الوطن المغلوب على أمره.

وبسبب تساهل السلطة السياسية، فقد فقدت المدينة هويتها الرئيسية، حيث نجد البطل يقف على معالمها حاليا بع أن عرف أنها تغيرت بشكل كبير وما حديثه عن المعالم العريقة لا حديث عن الهوية والأصالة التي غابت أو عُيبت بفعل فاعل، ليبقى الفرد يفوق ويلات الاغتراب والضياع والحزن والأسى كنا قد دخلنا حي القصة لم تجد سوى مدينة تنهار وأزقة زاد ضيقها من كثرة الأوساخ التي تصرف عن طريق الحمير والبغال²، وهذا كله تشويه لهوية المدينة التي قاومت النسيان مقاومة بين البشر لأنه المخرب الأكبر وكمثال على ذلك قصر الداوي" الزلزال الأخير أكل كل الجهة اليمنى واليسرى مثلها مثل هذه المدينة ما تزال تقاوم الموت المؤكد، قالوا أنهم سيبتونه ولكنهم لم يتزعوا حتى الزبالة التي تراكمت بجانبه حتى صارت مثل الجبيل، لم يجدوا مكانا يأوي إليه المتضررون من الزلزال إلا هذا المكان الذي عجز حتى عن حماية نفسه من الكوارث الطبيعية مع أنه البارحة فقط كان دابات الجزائر وساستها وراسها وانكشاريتها يأتون إلى هذا المكان ليفصلوا بين منازلهم³، إن هذا المعلم المهم من المدينة قد فقد كل جماله وهويته، وهذا الفقد ينعكس سلبا على المدينة التي تغدو بلا تاريخ وهوية أو مجد، وهذا الحال ينسحب على نفسية البطل الذي لم يعد له أي أمل سوى البكاء على ما كان، وما التحضير والوصف الذي قام به البطل للمكان سوى تذكير بمواطن التغيير الكثيرة التي خصلت للمدينة.

¹ الرواية، ص 32.

² الرواية، ص 225.

³ الرواية، ص ص 241-242.

وتحولت المدينة في لحظة زمنية فارقة بفعل تعادل السلطة التي لم تجد سوى هذه القصور الإسكان المتضررين، إلى خراب كبير وهذا في حد ذاته تق عنيف التوجهات السلطة التي تبحث عن الحلول الجاهزة فقط غير معير أي انتباه لما قد يحل بالمدينة وينعكس سلبا على نفسية الفرد.

بل إن النظام السياسي القائم كان له الدور الكبير في تهشيم هوية المدينة كلكم بلا تميز، ماذا قدمت هذه الإدارة للبلاد من خير؟ عندما تعرف أنك معزب تهينك، تبدو غريبا وكأنك لست من هذا الوطن من حق هؤلاء المرفوضين أن يدافعوا عن وجودهم، المناصب الكبرى في أيديهم، الوزارات، السفارات، الولايات، لأن الأمور بدأت تتقلب، ثم من وقف في وجه السلطة بصدر عار عندما بدأوا في تحطيم البيوت القصديرية.¹

ومما جعل هوية المدينة تتطمس ونقد شحنتها ومدلولها الثقافي والفكري، هو تأكيد البطل على الماضي والعودة إليه أو في شكل تعالق تقصي حزين يوحي بالألم والمرارة والبكاء على الشيء الضائع الذي ليس هنالك أي أمل لعودته أو على الأقل عودة أشياء بسيطة تعيد السمة والفرح له ولغيره من الغيورين على هذا الوطن فماذا بقي من إيكوسيوم ICOSIUM؟ فقد ولدت كمدينة في القرن السادس قبل الميلاد تصوري هذه العراقة المذهلة²، هذه الهوية للأسف تخلت عنها السلطة ولم تحاول حمايتها وكما أشرنا سابقا فالعودة إلى الماضي دليل على مدى تمكن الحزن من البطل وكذا تشبثه بالمكان رغم رثائه له وبكائه عليه، إلا أنه يظل مرتبطا به ساكنا فيه.

الآن النقد الذي وجهه الكرة الماء إلى مجموعة من المرجعيات الدينية المتطرفة وإلى السلطة الحاكمة هو في الحقيقة الأمر تقد الفكر الانهزامي الذي تخلى عن كينونته المدنية وهويتها، ولم يحاول تطويرها أو دمجها في سياق حضاري جديد.

كما أن شعور الفرد بالحزن والاغتراب ناجم عن الدور الكبير الذي عملت الأيديولوجيا على ترسيخه في محاربتها لكل القيم التي تقف ضدها.

¹ الرواية، ص 66.

² الرواية، ص 288.

رابعاً: المدينة بين الواقع وسطوة التاريخ.

يحاول هذا العنصر الوقوف على تحولات المدينة في رواية ذاكرة الماء في حقب تاريخية مختلفة بدأ بمراحل حياة البطل في الثورة ومنتطورة للمدينة في تلك الفترة، ومدى قربه الشديد منها وأثرها في نفسيته ثم مرحلة الاستقلال التي شهدت البداية الأولى للانفصال المدينة عن عراقتها وتاريخها بعد سعي السلطات الجديدة ترى بصمة خاصة، إثر بداية تفكيك مخلفات الحقبة الاستعمارية، وأخيراً المدينة في قلب الأزمة الدموية، وهي مرحلة انفجار البطل وظهور البكاء والقعي في ما يرويه.

وقد يتساءل البعض عن الغرض من تحقن تاريخ المدينة داخل الرواية فيمكن القول أن هذا الأخير يرسخ كيفية تحول المدينة وفقدانها شويتها نتيجة تأثرها بجملة من المواقف أو الظروف السياسية والاجتماعية، فالنص الأدبي يتحاور حتماً مع التاريخ، حين يندرج أي نص أدبي في سياق مرجعي تاريخي يشترط ويحضر ظهوره عناصر ما قبل النص الأدبي أو الاجتماعي أو الأيديولوجي، فتحدد هذه العناصر ثراء ومادة للمؤلف الذي يعيد تشكيلها وانسجامها كفاعل تاريخي ملموس¹، مما يعطي الرواية بعد مرجعياً.

ويسهم التاريخ المقدم في الرواية في بعث وبلورة تغيرات المدينة، وانعكاس هذا التغير على نفسية البطل، والمساهمة في اغترابه، وانفصاله عن ذاته وعن المكان الذي ينتمي إليه، وهذا الاستحضار التاريخي يحاول يعث حقبة تاريخية في امانة ودقة ولا يتجاوز الإطار المحدد ويهتم في المقام الأول بالطابع المطي، إذ يبحث التاريخ الماضي لكي يجري عملية استيقاظ على الحاضر بغية نقده²، أو بالذاكرة التاريخية إذ لا تكاد أن تخلو أية رواية من روايات واسيني الأعرج" من أحداث تاريخية أو الإلماع بها أو الاحساس بزحمها بحيث يمثل الخطاب التاريخي،.. مكوناً مهماً في تحديد الميئات الفنية في الرواية وقد أثري التاريخ وبشكل مفصلاً في رواية واسيني الأعرج الكرة الماء مما اكسبها ثراء وتنوعاً في أمكنتها.

¹ عمار بلحسن: نقد المشروع الرواية والتاريخ في الجزائر، مجلة التبيين، ع07، دار الجاحظية، الجزائر، 1993، 95.

² بن جمعة بوشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب الغربي، المغاربية للنشر والاشهار، تونس، ط1، 1999م، ص 150.

إن الارتباط الوثيق بين التاريخ والمدينة في الرواية تقدر طبيعة الرواية وهي عبارة عن بنية لغوية متخيلة تقدم رؤيا خاصة للعالم بالتاريخ كتم يمتاز بموضوعية واعتماده على مناهج مضبوطة إذ يعتمد التاريخ بالمفهوم أساسا إلا الم نقل كليا، على التاريخيات كما تشتت ذلك نظرة اشتعال الرواية على التاريخ إلى إعادة انتاجها البعض أدائه وأماكنه التاريخية (القديمة) بدلالات جديدة (معاصرة) ترتبط بالواقع الاجتماعي والسياسي الذي تتسج حوله

الرواية أحداثها، مما جعلها تؤسس خطاباتها على إحالات خارج نصية والتي يمثل لها من خلال " ابتداء من السبوع القادم يشرع في تطبيق النظام الأسبوعي الجديد وعليه سيصير يوم الخميس والجمعة، هما نهاية الأسبوع بدلا من يومي السبت والأحد"¹، إذ يعتبر الخطاب التاريخي من المؤشرات الزمنية التي تمر بها المدينة إبان هذه الفترة كما توحى لنا بالتغيير الفعلي لمقدمة من الاستراتيجيات سطرته الحكومة في نهجها الجديد فأعطت بذلك للمدينة رسما طبوغرافيا ونفلة تاريخية إذ أصبح كل ركن فيها أو زاوية رمزا للخوف والتأزم النفسي.

فتعالج الرواية إذن فترة حاسمة من تاريخ الجزائر وأزمة ناتجة عن نظام سياسي متآكل من الداخل تحكمه مجموعة من القيم المضطربة ما أثر سلبيا على المدينة، إذ يقول الراوي " لا يعقل أن تسرق المدينة بهذه السرعة، ما يزال فيها شيء من الحياة، يصر بشكل دائم على البقاء والمقاومة"² أن هذا الوصف للمدينة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ قمع الحريات الفردية وتاريخ الاختطافات والاعتقالات اليومية التي آلت إليها البلاد في تلك الفترة أن سوء التسيير الذي يقف وراء الوضع المهترئ هو بمثابة الرسالة التي يحرص الراوي على نشرها حتى لا يطمر التاريخ طويلا، وهذا في إطار رصد حركية المدينة عبر قررات تاريخية.

إن هذه المدينة المائلة اليوم أمام وحي البطل لم تعد هي التي عرفها عندما جاء إليها أول مرة، ولذلك ينعيا حين قال: " عاداتك لم تتغير منذ أن تعارفنا في تلك المدينة الساحلية التي لا اسم لها سوى زلازلها المتكررة في المرة الأولى حطمت عن آخرها، ثم حطمت ثانية وثالثة، ليبقى بعد ذلك بعيدا عن مكانها الأول، مدينة أخرى بأسوارها وبحرها وبنينها، لا

¹ الرواية، ص 154.

² الرواية، ص 165.

يدخلها إلا المحظوظون¹، لقد تغيرت المدينة تغيرا كبيرا بفعل ما حل بها من تعاقب كبير للأحداث عبر محطات تاريخية، ففي كل حقبة كانت المدينة كسى بملامح خاصة تملئها عليها الظروف التاريخية والسياسية، التي تعيش فيها إذ تتماهي المدينة لتصبح داخل النفس الإنسانية التي تستطيع أن تحركها، فتسكن القرد وتجعله يتوق إلى الجديد دائما، لكن وصفها حاليا عوض أن يقدم لفرد الجديد اكساها بطابع التخلف والرجوع إلى الوراء.

فقد بلغ الخوف من تحول المدينة إلى ظل وهاجس بلازم البطل أينما حل وارتحل:" يملأني دائما رفيقي، مند أن سرقت مني حيطان هذه المدينة أجمل صديق، عشفته خارج المعتقل وازدادت التصاقا به، وهو يبحث عن حروفه الضائعة بين الحيطان العالية²، عن المدينة أو المكان يحول الإنسان إلى شخص آخر وذلك حسب تأثير المكان فيه من خلال مجموعة من الصفات والسمات الإنسانية التي تجعل من المكان شيء متماهيا مع الإنسان فهي تكسب مكسب الأخلاق ومكسب الخوف التي تجعل من حياتهم داخل هذا الفضاء سجنا متعلق لساكنيها، عوض أن تقدم الراحة والأمان وهذه مفارقة غريبة في عالم متغير ومعايير الظيت رأسا على عقب.

إذ وجد الفرد نفسه خائفا أمام هذه التحولات التي امتدت إلى كيانه فغدت شكل هوس كبير جعله يحس بالفراغ وبخاصة أثناء محاولة السلطة السياسية تغيير النمط القائم الأيام التي كانت ثقيلة ومهلكة، في نهاية الأسبوع التي كنا ننتظرها بشغف لتنتزل إلى عمق شوارع المدينة لم تعد تعني لنا بالشيء الكثير عند أن غير يوم السبت والأحد بيومي الخميس والجمعة، فنهاية الأسبوع صارت قيامة، فكنا ننتظر بفارغ الصبر زوالها لتعود إلى العمل³.

فهذه الرؤيا الجديدة التي طبقتها الحكومة الإرضاء تيار لون آخر أني إلى اهتزاز كيان المدينة ويسمح ببروز الحركات الإرهابية التي قلبت معالم المدينة إلى جحيم وأسهمت في تغذية المأساة التي حدثت، مما أدى إلى الرغبة في الهروب وترك المدينة لم يكن في

¹ الرواية، ص 26.

² الرواية، ص 26.

³ الرواية، ص 41.

نيتي السفر لكن هذه المرة وبين تروح معال، حرام أن بين المرء كائن جميل داخل هذه المدينة التي حولها ورثاء الأتراك إلى قيامة¹، حتى تغير طعم الأشياء فيها.

فإعمال مجموعة من التنبؤات عن ما في المدينة يمكن التخيل الروائي من استكشاف المسكوت عنه في التاريخ، وبالتالي فهو يشكل ذاكرة مضادة للتواريخ الرسمية²، فالرواية تحاول أن تبعث بعض الجوانب التي تنتظر إليها بعين الاعجاب من طرف المؤرخين ألا وهي دور الأتراك في بلورة معالم مدينة الجزائر إذ؛ ترصد الرواية الجوانب المظلمة لما تعتبره غزوا ثقافيا لما مارسه هؤلاء من طمس وفرض رؤيا خاصة في حق مدينة الجزائر وهو ما أدى في النهاية إلى تحطيم صورتها وبقاء الدهنيات على حالها فهي لا تقدر الماضي بقدر ما تحاول يسط هيمنته على الحاضر، وجعله دون إرث ثقافي وهذا ما أفضى إلى سيطرة قوى أخرى كانت تحلم بعودة الخلافة الإسلامية وامتدادها كوريث شرعي للحقبة التركية انسحب كل شيء من المدينة، الشوارع الزاهية، الأغاني، الألوان الأليمة، الصبيات، صارت المدينة فجأة ذكورية وبدون معنى، داخلي، في الحمامات التي تعودت أن تملأ المكان أيام الأحادي مع السياح والزوار والوافدين، أصبح من العصير عليها تحمل خواتم الجمعة³.

فظهر هذا الكائن الجديد (الجماعات الإسلامية)، أدى إلى تغييب مظاهر البهجة واختفت كثيرا من الملامح يصيب النظرة المتطرفة الضيقة التي حملها في محاولة تحقيق حلم الخلافة إلى عمل هؤلاء على فرض نمط جنبي من الحياة جعل الفرد يزداد بشما وشقاء والمدينة تزداد ضيقا وتخلفا، فأين هي الملامح التي كانت تتميز بها المدينة في الفترات السابقة؟ عندما كانت تستعد للاحتفال بالأعياد الوطنية ذات صباح عندما كانت البلاد تظلي حيطانها بالجير الأبيض وترشق الأعلام استعدادا للأعياد الوطنية التي كانت أنجمها مجرد انكسارات وانحناءات حمراء⁴.

¹ الرواية، ص 43.

² محمد بوعزة، السرديات الثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2014م، ص 105.

³ الرواية، ص 41.

⁴ الرواية، ص 47.

ان هذا الزمن المغيب ولو كان مجرد شكليات إلا أنه يشير لبعض البواعث النفسية المتعلقة بالماضي وبالضبط في الفترات التي أعقبت الاستقلال فإنه بالتأكيد أفضل من الزمن المعاش الذي أصبح يشكل عقدة وخوفا على الفرد مما جعله يشعر بنوع من الانفصال المعاش في هذا العصر الذي حمل معه الخيبات مما أسهم في خلق هوة بينه وبين المدينة ما بقاش في هذه البلاد، لقد حرقت فرصتها، عرفت كبار الفنانين ثم رمتهم في دهاليز الموت، هل عرفت "رينات" الوهرانية مليئة أخرى غير مدينتها وهران؟ هل عرفت "آليس فينوسي" عشقا آخر سوى مدينتها قسنطينة وأحيائها الشعبية، هل عرفت طيطما حنين لغير تلمسان وبين راحو"¹، فقد أصبحت المدينة يبحث عن اليأس تمام اعلى عكس الماضي تماما وما الحديث عن الفنانين إلا خير دليل على ذلك.

ولأن الرواية تحمل طابعا فكريا ونفسيا يجعل زوايا الرؤيا تتعدد بتعدد وجهات النظر وتتعدد الحالات النفسية والانتماءات الطيبة الاجتماعية بل بتعدد الافراد وتختلف تبعاً لاختلافه²، فإن هذا ما ينعكس على المراحل الهامة التي بدأت تتغير فيها ملامح المدينة بفعل تغير الزمن وهذا ما حل بالمدينة غداة الاستقلال إذ سيطر بعض اشباه المجاهدين على ممتلكات المعمرين وحولوها إلى ملكيات خاصة مما أفضى إلى ظهور بوادر الطبقة ولكن طفولتي لم تكن كافية لمقاومة سلطته، لقد احتل النكتة وفي ظرف أقل من شهر"³، فهذا المقطع يحيل إلى مراحل بداية الاستقلال ويؤرخ إلى قرّة هامة تراها الرواية كانت سببا من بين الأسباب التي أدت إلى انفجار الوضع وساهمت في خروج تبعيات خطيرة كانت حدثت انطلاقا من مسوغات وفرضيات لا أساس لها "أزعجتني الخطوط الغامضة مانشيت عنوان *19 جوان 1965* - التصحيح الثوري - يضع حدا للشعبوية"⁴، فهذا الحدث التاريخي كان له أثره البالغ في بلورة نظام جديد حاول فرض الشرعية الثورية على نظام

¹ الرواية، ص 49.

² عبد الرحيم كردي: السرد في الرواية المعاصرة، مكتبة الأدب، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 54.

³ الرواية، ص 47.

⁴ الرواية، ص 47.

الحكم وأسهم في تقديم مشروع جديد حاول خدمة المدينة بفعل ما أقره من قوانين، لكن مع مرور فترة ليست بالطويلة عمت الفوضى وعادت المدينة إلى فترة التقهقر مرة أخرى.

ولعل هذا ما يدفع بالرواية إلى استرجاع بعض الأحداث المتعلقة بماضي المدينة فإن استرجاع هذه الأماكن لأحداثها يعيد البطل إلى الواقع المر، فالمدينة لم تكن بهذه البشاعة لم يكن الزمن مخيفا مثل الآن، هذه المدينة الجديدة تتنازل عن الكثير من بريقها وأشواقها الرجال الغامضين الذين حكموا رقتها يعتق شديد، ومن ناحية ثانية يعكس توقعه وحنينه الماضي هذا ما يسمى بالنوستالجيا *mostalgia*، إذا يستعيد في ذاكرته وصفا يتعثر عليه استرداده في الواقع¹، وهذا ما أدى بالرواية إلى العودة إلى الماضي في كثير من المواقف لذا نجدها تستحضر الثورة وتضحيات رجالها الحالمين² ولذلك التهمته دهشته التي سرقت منه منذ طفولته، ذات صيف 1959 لم يكن يعرف أن البلاد ستصير رخيصة بهذا الشكل عندما ركب رأسه وصمم أن يدخل شبرا السمة الوطن²، فاستحضر هذه اللحظة بالضبط يحيل إلى ضياع جهد من ناضل في سبيل أن يحيا الوطن، قضات القيم والمبادئ الثورية وحلت بالوطن جملة من النكسات، أكيد ستتغير نظرتهم للحاضر والمبادئ التي أسسوها وحاربوا لأجلها.

بل تتدفع الرواية إلى الوراء لتؤكد هذا لترحها في المدينة التي دافع عنها بضراوة تتحول إلى أفعى تسمه ثم تأكله³، وذلك يفعل الزلازل الكبيرة التي ضربت هذه المدينة وعبثت بتاريخها المشع وحطم جهود المخلصين الذي دافعوا عنها بإخلاص لتصبح كابوسا مزعجا بفعل العنف الذي أصبح يمارس في الخفاء والعلن أشعر أحيانا أن هذه المدينة متواطئة ضدنا مع القنلة وتساهم كل مساء عندما نغادرها نهائيا، فتصبح لنا كل الحقوق التي تحصل عليها ونحن أحياء، لها تاريخها في النسيان السريع فقد عشقت إلا الصبيان ونامت

¹ سمير فوزي حاج: مرايا جبرا هيم والفن الروائي، المؤسسة العربية للدراسات وال...، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 27.

² الرواية، ص 139.

³ الرواية، ص 306.

في حجر القراصنة قرونا متتالية وولدت معهم ثم تركت باياتها وداياتها لتلبس لباسا عسكريا ثم مدنيا ثم عسكريا¹، فهذا الاستقرار غير الدائم والمتغير بين الحين والآخر خلف أثرا جعل المدينة مكانا مسكونا بالخوف وعدم الراحة والحزن، فالماضي يمثل هروبا عن الواقع المتأزم فيقارن بين أمس مضي مشرق، وحاضر منز؛ مما خلق أثرا نفسيا مسيئا في قاطنيها واصبح علامة على علم الارتياح، مما أفضى إلى تعميق الهوية، فهذه الحقب المختلفة طمست كل المعالم نتيجة المسح الذي تمارسه كل حقبة على الأخرى، وهذا في حد ذاته عائد إلى طبيعة النسق المضمّر الذي يسير الفكر السلطوي، إذ لا بد لنا من العودة على الماضي حتى يمكن أن نفهم معطيات الحاضر المحضّر الحماقة، ارتكبت منذ زمن بعيد عندما وقف الطهطاوي على مشارف باريس وهو يحاول أن يفتح صدره نحو عطور المدينة ومتاحفها ومفاهيمها وملكياتها ويبحث لها عن تأويل مستحيل داخل المصحف الذي لم يغادر يمينه، هل يملك حكامنا بعض شجاعة مصطفى أتاتورك²، فالنظام القائم لم ينظر إلى أسباب التقدم والنجاح عقد بقية الأمم الأخرى، بل اكتفى بأخذ سفاسف الأمور ولم يستثمر أسباب النجاح واكتفى بدور المتفرج، قال الحال إلى فوضى وخراب شوه ملامح المدينة "وأغلقت بقطع إسمية في إطار حملة تهذيب المدينة التي قامت بها البلدية الجديدة التي أضافت نعوها لكل التسميات البسيطة، فصارت البلدية بلدية إسلامية، والسوق سوق إسلامية، ومراحيض المدينة، مراحيض إسلامية، والمزيلة المزيلة الإسلامية"³، هذه المستجدات التي عرفت المدينة في عهد الفيس FIS، هذا التيار السلطوي الجديد، قضى على كل ما يرمز للحدثة، فمنذ الوهلة الأولى لسيطرة هؤلاء على الحكم شرعوا في أسلمة المدينة وأدلجتها وفق الأيديولوجيا الجديدة، فخربو ما يرمز في نظرهم للإلحاد (كالتماثيل واللوحات الفنية) وأحرقوا المسارح بحجة تمجد الوثنية، وأغلّقوا دور السينما التي تمجد التفسخ وفعّلوا كل ما بوسعهم لجعلها ساحة مسجد وفق منظورهم الخاص والمتطرف، بل ذهبوا بعيدا فهاجموا الصحفيين والمتقنين واتهموهم

¹ الرواية، ص 309.

² الرواية، ص ص 60-61.

³ الرواية، ص 68.

الفصل الثاني مظهرات رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج

بالإلحاد فدخلت المدينة في فوضى عارمة انعكست بالسلب على أهلها؛ إذ فكر الكثير منهم في الهجرة إلى خارج الوطن نتيجة التشتت والضياع والحرية والانفصام الذي أضحووا يعيشونه نتيجة مسيطرة هذه الهوية الجديدة على مدينة سكنت قلوبهم قبل أن يسكنوها فعوض أن يقدم هؤلاء حلوة تطويرية للحاق بقطار الحداثة، أعادوا البلاد إلى الرجعية والتفوق على الذات.

ثم تعود الرواية في محاولة منها إعطاء تفسير منطقي لبعض ما حدث خلال حقبة مختلفة ومتداخلة من التاريخ؛ فالبعد الانتقالي وحب المصلحة ومحاولة الاستحواذ على الكرسي واحتكار الرأي الآخر الذي جاء به رجال الثورة في بداية الاستقلال هو السبب الرئيس الذي دفع الأمور إلى هذا الوضع وكان الضباط الوطنيون يتقاسمون غنائم الحرب الفاتنة ويبكون ببعض النفاق الذين ذبحوهم أو دفنهم أو قتلوا أمام أعينهم¹، فرواسب هذه الفترة وتراكماتها لك بقلة في اللاوعي الفردي والجمعية لتتفجر في بداية التسعينيات فأعملت الدمار فعلتها وحصل ما حصل "كنت وأنا أحاول أن أستعيد نظري الذي انكسر على بعض الأحجار المحروقة، ونص آخر معزى عن آخره كتب عليه بخط أحمر معوج ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ - الجبهة الإسلامية للإنقاذ FIS-، أحاول عبثاً أن أستعيد تفاصيل المكان الضائعة، كان الخراب هو الحقيقة الواحدة المرئية²، لقد فرض هذا الكيان الجديد رؤية صارمة وممنهجة بفعل التطرف والعنف والإقصاء الذي يمارسه، فهدم كل ما برمز ما لا يتناسق مع توجهاته ولم تسلم من آليته الإجرامية أي شيء جهة أو مكان واختزل ما يقوم به في جانب عقائدي هو التغيير بالاعتماد على شرع الله، أي شرعة العنف بمنحه طابعا قدسياً.

من خلال هذه القراءة حول تحولات المدينة عبر حقبة تاريخية مختلفة نستنتج أن المدينة عبر التاريخ أسهمت في عالق وتشكيل القضاء الجمالي والفني للرواية، رغم مسحة الحزن والبكاء التي ارتبطت بها يحكم مقارنتها بأزمة متفاوتة في الاستقرار والأمل وبحكم أن من جماليات الخطاب الروائي الارتباط بين الفرد والزمن من ناحية وبين حاضر الشخص

¹ الرواية، ص 51.

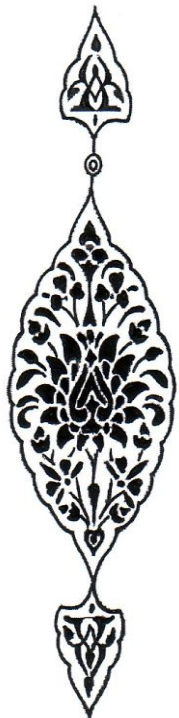
² الرواية، ص 184.

الفصل الثاني مظهرات رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج

وماضيه الذي تسهم العلاقات في بلورة مجموعة من القيم الجمالية والاجتماعية التي تشكل الفضاءات في الرواية¹، النتائج عن دور التاريخ في لعب أدوار مهمة في تشكيلها. إذ أدى المكان (المدينة) دورا مهما وهاما في بناء الرواية كما ساهم التاريخ في تركيبها في إطار ذلك التعارض بين ما يفرضه الواقع من سطوة ونور التاريخ في تقييمه وتسييره للأمور باعتباره منطلقا للأحداث تسير وفقها الشخصيات، بل يتجاوز ذلك الإطار أحيانا وهو ما أضفي لمسة ومسحة من الحزن أثناء حديث الراوي من التحولات الكبرى التي طالت هوية المدينة، وأسهمت في سطوتها على باقي مكونات السرد الأخرى.

¹ أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص13.

خاتمة





خاتمة:

من خلال ما تقدم ذكره في البحث يمكن أن نخلص إلى النقاط التالية:

إن توظيف المدينة في الرواية الجزائرية وبخاصة في رواية التسعينيات لها عدة دلالات باعتبارها أهم الأمكنة الشاهدة على مختلف الأحداث التي مرت بها الجزائر وقد ظهر ذلك بشكل حي من خلال تغيير وجهها وتشوه معالمها.

إن المكان في العمل الروائي ليس هو ذلك الحيز الجغرافي بأبعاده الهندسية وفقط مثلما عرفه الفلاسفة القدماء وركزوا عليه، بل له جانب جمالي فني ركزت عليه الرواية خصوصا.

دراسة المكان في الرواية مهم جدا القيم العمل أولا، ولقهم ملوك ومشاعر الشخصيات التي تتحرك في المكان وتتفاعل معه.

ان الرثاء مرتبط أساسا الحزن والألم على شيء مفقود يفعل عوامل متعددة وقد كان مرتبط بالأشخاص فقط لينتقل إلى المدن التي تعني الحضارة والاستقرار والثبات ورثا وها هو نتيجة لزوال هذا الاستقرار وتنامي الشعور بالغرابة والضياع.

توظيف المدينة في الرواية الجديدة بشكل مكثف دلالة على التأثر بمظاهر التطور، فقد كشفت الرواية عن مختلف التناقضات الموجودة في المدينة وتأثيراتها على الشخصيات. تعد المدينة أهم شاهد على المرحلة الدموية التي مرت بها الجزائر وهذا ما صورته لنا رواية ذاكرة الماء.

يعد المثقف في رواية ذاكرة الماء أكبر شخصية تأثرت بهذا الواقع المفروض عليها وهو ما ولد حالة الاغتراب والانطواء والعزلة لديه.

نعي وبكاء المدينة من خلال استعراض معالمها التي دمرت أو همشت هو نعي وبكاء لحال الجزائر ككل التي فقدت روحها وهويتها الحقيقية واستبدلتها بهويات مصطنعة وكاذبة أوصلت الجزائر إلى طريق مسدود.



ظهر بشكل جلي أن شخصيات الرواية التي مثلت الطبقة المثقفة قد عانت من ممارسات السلطة التعسفية ضدها، وهو ما جعلها مستهدفة من جميع هذه السلطات، وجعلها كذلك تراثي حالها وحال المدينة التي تؤويها.

وظفت المدينة بلا هوية رغم عراققتها وإرثها الثقافي والحضاري، وذلك نتيجة تعرضها لهجمات عنيفة من قبل بعض المرجعيات أو الأيديولوجيات المتنافسة فيما بينها وهذا أثر بطبيعة الأمر بشكل سلبي على حال الفرد الذي أزداد أساه وحزنه بسبب ما يحصل على الكيان الذي يأويه، فكما عملت المرجعية السياسية على احتواء المدينة وجعلها في خدمة مصالحها، بل تخلت عنها لصالح الطرف الآخر، عمل المتطرفون على طمس ملامحها ومعالمها والسيطرة على أفرادها.

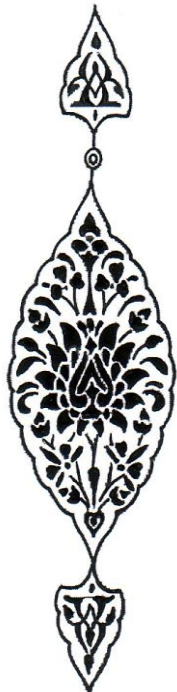
شهدت المدينة تحولات كثيرة مرت بها وحاولت كل حقبة إضفاء خصوصيتها على المدينة، ولكن في نهاية الأمر ولد هذا التراكم التاريخي انفصالا بين الفرد ومدينته، إذ كان يجد نفسه في كل مرحلة بلا ملامح توجه.

إن طبيعة البحث وتشعبه قد فرضت الوقوف على عناصر دون غيرها، فمثلا لم تعر الجانب الجمالي للقضاء أو المكان أهمية بالغة، بحكم تركيزها على الجانب النفسي للمكان وفق رؤية الفرد له.

كما يمكن الوقوف على البعد العميق التوظيف المدينة بهذا الشكل وفق رؤى أو زوايا نظر مختلفة وهذه دعوة للباحثين حتى يشروا هذه الفكرة.

قائمة المصادر

والمراجع





- القرآن الكريم.

1- المصادر:

1. واسيني الأعرج: ذاكرة الماء (محنة الجنون العاري)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2012.

2- المراجع:

2. ابتسام مرهون الصفار : الأمالي في الادب الاسلامي ، دار المناهج للنشر و التوزيع ، د.ط، 2006 .

3. ابراهيم رماني الغموض في الشعر العربي الحديث ، ج1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 .

4. إبراهيم عباس، الرواية المغاربية (شكل النص الروائي في ضوء البعد الأيديولوجيا)، دار رائد للكتاب، الجزائر، ط1، 2005م.

5. أبو نواس : الديوان ، عزيز أباصة ، دار صادر ، بيروت ، د ط ، د ت .

6. أبي العتاهية : الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، د ط ، 1986 .

7. ابي تمام : الديوان ، شرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف القاهرة ، ط3 ، د ت ، ج4.

8. أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م.

9. اسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين ، تاريخ الاندلس من الفتح حتى السقوط ، تح، انور محمود زناتي ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1 ، 2007.

10. أنس داود : التجديد في الشعر الهجري ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د ت.

11. أوس بن حجر : الديوان ، تح ، محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1967.



12. بن جمعة بوشوشة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للنشر والاشهار، تونس، ط1، 1999م.
13. ثامر سمير حسن الشمري : المحات في الشعر العباسي ، دار بابل للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 ، 2014.
14. جبور عبدالنور : المعجم الأدبي ،دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط2 ،سنة 1984م.
15. جليل حين محمد : قراءات نصية في الشعر ، دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2012.
16. جورج شكيب سعادة : الموضوعات الاساسية في شعر الرابطة القلمية ، دار الحدائة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002.
17. حني عبد الجليل يوسف : الأدب الجاهلي (قضاياها و نصوصه) ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ،القاهرة ، ط1 ، 2001.
18. سراج الدين محمد : موسوعة المبدعون الرثاء في الشعر الادبي ، دار راتب الجامعية ، د.ط ، دت.
19. سعد بوفلاحة : دراسات في أدب المغرب العربي ، منشورات بون ، الجزائر ، ط1 ، 2007.
20. سمير فوزي حاج: مرايا جبرا هيم والفن الروائي، المؤسسة العربية للدراسات وال...، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
21. شوقي ضيف : الرثاء ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ط03 ، دت.
22. صالح سليمان عبد العظيم: سوسيولوجية الرواية السياسية (يوسف العقيد نموذجاً)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998.
23. الضبي (المفضل بن محمد بن بعلي) ، المفضليات ، تح ، أحمد محمد شاکر و عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 ، دت.



24. عبد الرحيم كردي: السرد في الرواية المعاصرة، مكتبة الأدب، القاهرة، مصر، ط1، 2006.
25. عبد اللطيف عيسى : شعر الرثاء في عصر الملوك الطوائف في الأندلس ، دار غيداء ، ط1، 2003.
26. عفيف عبد الرحمان : الشعر الجاهلي حصاد قرن / دار جرير للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 2007.
27. علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، (مجلة عالم الفكر)، المجلس للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 07، ديسمبر 1972.
28. فرج فودة: الإرهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1992م.
29. فريدة إبراهيم بن موسى: زمن المحنة في سرد الكتابة الجزائرية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2012م.
30. فورار محمد بن لخضر : الشعر الاندلسي في ظل الدولة العامرية ، دار الهدى للطباعة و النشر ، د ط ، 2009.
31. فوزي عيسى : الشعر في عصر الموحدين ، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر ، ط1 2007.
32. قادة عقاق : دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، دط ، 2001 .
33. محمد بوعزة، السرديات الثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2014م.
34. محمد رجب البيومي : الادب الاندلسي بين التأثر و التأثير ، دار العربية للكتاب ، ط1، 2008.
35. محمد رضوان الداية : الأدب الأندلسي ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2000.



36. محمد عويد الطربوكي : المكان في الشعر الاندلسي من عصور المرابطين حتى مهاية الحكم العربي ، دار رضوان ، عمان ، الاردن / ط1 ، 2012.
37. محمد مفدي قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987.
38. مصطفى عبد الشافي الشوري : شعر الرثاء في صدر الاسلام ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1996.
39. مي يوسف خليف : أبعاد الإلتزام في القصيدة الاموية ، دار غريب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د ط ، د ت.
40. النابغة الذبياني : الديوان ، شرح حمد و كماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2005.
41. نوري حمودي لقيسي : شعراء أمويون دراسة و تحقيق ، مطابع مؤسسة الكتب للطباعة و النشر ، د ط ، 1976.
42. ياسين بوعل: الثالث المحرم، - دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1978م.
- 3- الرسائل الجامعية:**
43. حميد الصغير: الهوية والغيرية في رواية الأمير لواسيني الأعرج، رسالة ماجيستر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2014م.
- 4- المعاجم:**
44. ابن منظور : لسان العرب ، مج 3 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1997 م .
45. الفيروز ابادي : القاموس المحيط ، ج4 ، دار العلم للجميع ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت.

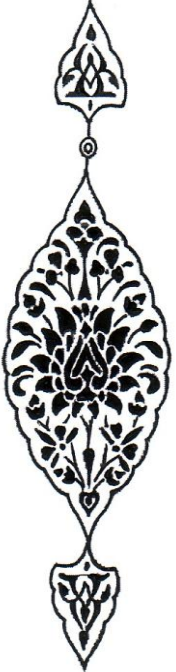


46. القرشي أبو زيد أبي الخضاب : الجمهرة ، دار الهلال بيروت ، لبنان ، د . ط سنة 1999.
47. محمد بن ابي بكر الرازي: مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ط1 ، سنة 1977 م .
- 5- المراجع المترجمة:
48. أليكس ميكشلي، تر: علي وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط1، 1993م.
49. جان بول سارتر : دفاع عن المتقنين، تر: جورج طرابلسي، منشورات دار الأدب، بيروت، ط1، 1973.
50. طوني بينيت : مفاتيح اصطلاحية جديدة ، معجم مصطلحات الثقافة و المجتمع ، تر ، سعيد الغانمي : المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2010.
51. مارسيل فوشيه: الدين في الديموقراطية، تر: شفيق محسن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
- المجالات:
52. أمال مالي، المثقف والسلطة، قراءة في رواية المستنقع ... التحقيق بجناح واحدة لمحسن بن هنية (عيون جزائرية على تجربة تونسية)، دار الأمان الأربعة، الجزائر، 2010.
53. حماد حسن أبو شاويش، ابراهيم عبد الرزق عودة الاغتراب في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا ابراهيم جبرا، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسة الدراسات الاسلامية)، مج 14، ع2، 2006.
54. جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد (التجربة والأمل)، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، دط، 2005م.
55. عمار بلحسن: نقد المشروعية الرواية والتاريخ في الجزائر، مجلة التبيين، ع07، دار الجاحظية، الجزائر، 1993، 95.



56. عبد الحميد هيمة، المأساة الوطنية في الرواية الجزائرية (قراءة في نماذج من الرواية الجزائرية الجديدة، مجلة العلوم الانسانية)، ع 29، بسكرة، 2013.
57. مجموعة مؤلفين: صورة المثقف في القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة بالعربية، فرقة بحث معهد الآداب واللغات جامعة الجزائر، العدد 13، ديسمبر، 1995م.

ملاحق





* لمحة عن حياة واسيني الأعرج:

1. حياة واسيني الأعرج:

ولد بقرية سيدي بوجنان في 08 أوت 1954، ولاية تلمسان المجاورة للحدود المغربية، نشأ في بيئة عائلية فقيرة تلقى تعليمه الإبتدائي لمقسط رأسه، ثم زاول تعليمه الثانوي بتلمسان، و بعد نجاحه في البكالوريا انتقل إلى جامعة وهران التي تخرج منها سنة 1997 متحصلا على شهادة ليسانس في الأدب العربي.

واصل دراسته العليا في جامعة دمشق، حيث أحرز درجة الماجستير في 1982/06/11، عن بحث يتناول " غتجاهات الرواية العربية في الجزائر " ثم الدكتوراه في 1985/06/20، عن أطروحة تتناول (نظرية البطل، ملاحمة في الرواية الجزائرية و العربية).

وبعده أعاد إلى الجزائر حيث إلتحق بجامعة الجزائر سنة 1985 إستنادا للأدب الحديث، ثم إستنادا زائرا و مشاركا بعدة جامعات فرنسية إبتداء من سنة 1994.¹ فهو روائي وقاص و ناقد، ذو اهتمامات إبداعية و أكاديمية متعددة يعد إغرار الكتاب الشباب و أنشطهم و أكثرهم حماسا و دعوتنا إلى التجريب في القصة القصيرة و في الرواية. و استعمل في كتابه أسلوب المقاطع و توظيف اللغة الشعرية و أسلوب التداخي و المونولوج، و أسلوب المشاهد.²

2. أعماله:

- أ/ الدراسات النقدية: لواسيني الأعرج دراسات نقدية نذكر منها:
- الأصول التاريخية للواقعية الإشتراكية في الرواية الجزائري.
 - النزوع الواقعي الإنتقادي في الرواية الجزائرية.
 - إتجاهات الرواية العربية في الجزائر.
 - الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية.

¹ يوسف و غليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى اللسانية، دار النشائر، الجزائر، د ط، 2002، ص 210.

² شريط أحمد شريط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصة الجزائرية، ط 1، 2009، ص 349.



ب/ وفي القصص.

- أحمد المسيري الطيب وزارة الثقافة.
- أسماك البر المتوحش.
- نورا السمكة الصغيرة (قصة للأطفال).
- ألم الكتابة عن أحزان المنفى.

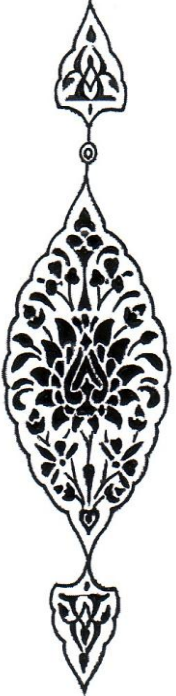
ج/ وفي الروايات:

- جغرافية الأجساد.
- وقائع من أوجاع الرجل غامر صوب البحر.
- وقع الأحذية الخشنة.
- ماتبقى من سيرة الأخضر حمروش.
- نوار اللوز.
- مصرع أحلام مريم الوديعة.
- حال الدنيا (الشاهد الأخير على إغتيال مدن البحر).
- ضمير الغائب (الشاهد الأخير على إغتيال مدن البحر).
- فاجعة الليلة السابعة بعد الألف.
- سيدة المقام.
- البيت الأندلسي.
- مملكة الفراشة.
- سيرة المنتهى.¹

¹ يوسف وغيلسي، المرجع السابق، ص 210.

فهرس

الموضوعات





الصفحة	فهرس الموضوعات
	شكر وعرهان
	إهداء
أ	مقدمة
الفصل الأول: علاقة الرثاء بالمدينة	
05	أولاً: ماهية الرثاء والمدينة
05	1- مفهوم الرثاء (لغة واصطلاحاً)
07	2- مفهوم المدينة (لغة واصطلاحاً)
10	3- الرثاء وتطوره عبر العصور
22	4 المدينة في التراثين الغربي والعربي
27	ثانياً: فن رثاء المدن
27	1- لمحة عن نشأة فن رثاء المدن
29	2- رثاء المدن وتطوره عبر العصور
الفصل الثاني: تمظهرات رثاء المدينة في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج	
33	أولاً: المدينة في الرواية
39	ثانياً: المثقف والاعتراب المكاني
48	ثالثاً: المدينة بين الهوية والايديولوجيا
57	رابعاً: المدينة بين الواقع وسطوة التاريخ
67	خاتمة
70	قائمة المصادر والمراجع
77	ملاحق
	ملخص

ملخص:

يتناول هذا البحث الموسوم برثاء المدينة في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج تحليلات رثاء المدينة، ومدى انعكاسها على تقنية الأفراد داخل المجتمع في فترة عصيبة من تاريخ الجزائر في العشرية السوداء، وطبعاً لن تجد هذا الموضوع إلا بعد أن تتناول مجموعة من المفاهيم التي حاول البحث تقديم إحاطة بها مثل مفاهيم المكان وأبعاده والتميز بين مصطلحات المكان والفضاء وعلاقة المدينة بالرواية باعتبار أنهما كانتا متلازمتي النشأة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الرثاء يتمظهر داخل رواية ذاكرة الماء عن طريق تداخله مع مجموعة من المفاهيم المتبلورة من مثل: اغتراب المثقف داخل المدينة وما ينجر عنه من أمس وحزن يدفعه إلى الإحساس بالانفصام عنها مما يدفعه إلى التعبير عن ذلك من خلال تعبير فعل الرثاء وكذا وقوع المدينة في مأزق الصراع بين الهوية والأيدولوجيا أو المرجعية التطرفية أو السياسية، فسعت كل منها إلى بسط هيبتها ولو على حساب زوال المدينة دون إغفال الدور الكبير الناتج عن تحولات المدينة عبر حقب تاريخية متعددة وما أفرزه هذا القول من حزن ويؤس في المدينة.

الكلمات المفتاحية: المدينة، الرثاء، الاغتراب، المثقف، الهوية، الأيدولوجيا، التاريخ.

Summary:

This research focuses on the subject of the lament of the city in the roman memory of water ”by Oassini Laarad Analysis of the lament of the city, and its reflection on the psychology of individuals within society in a difficult period of the story of T'Alpinie is the black decimal and of course, you will not find this section until after dealing with a set of concepts which this research tries to rule out the notions of place and the distinction between term of place and space and the relationship between city and novel as are simultaneously developed on the one hand, on the other hand, the lament manifests itself inside the novel memory of water By interfering with a picture of evolution concepts such as the alienation of the educated within the city and what it causes such as chaprins and the and the melancholy feeling of schizophrenia which leads him to express it through an expression of exploring as well as in conflicts between identity and ideology , extremists or political reference, disturbance of the city, each has sought to extend its prestige, even to the detriment of the disappearance of the city without losing sight of the important role of the city through multiple historical transformations and sorting out this saying of sadness and misery in the city

Keywords: the city, the lament, the alienation, the cultured, the identity, the ideology, the history.

